أولا : الباب الأول

الجانب النفسى

العدة النفسية فى حياة الانسان

أ ــ الاعلان عن الذات : . إن أى عمل فى حياة الإنسان لايكتب له النجاح والخلود إلا إذا قام على أساس من الاستعداد النفسى للاقبال عليه وانجازه على خير الوجوه مهما صغر ذلك العمل أو كبر . فالرغبة الكامنة فى نفس الإنسان لا يحركها شئ قدر ما تحركها حاجة الإنسان لاثبات ذاته فى الدنيا وسط أقرانه . واشباع رغبة الإنسان تتجلى فيما يقدم عليه منفرداً أو مصاحبا للآخرين بعزيمة لا تقهر وإرادة لا تغلب وجسارة لاترد . وتلك الرغبة صالحة وباقية فى الإنسان مابقى حياً . وهى مايمكن أن يطلق عليها «العدة النفسية

وتبدو أمارات تلك العدة النفسية ظاهرة بجلاء عندما يصبح الإنسان فتياً قد اكتملت قواه العقلية فيحسن التدبر فى الأمور وتحكيم العقل فى المواقف المختلفة ويقدم غير هياب لإنجاز متطلبات حياته . ويساند تلك القوة قوى عديدة وفق وظائف أعضاء الجسم وسلوكياته حتى تتكاتف جميعا فى تحقيق مآربه واشباع رغباته ويتبوأ مكانته من مجتمعه ويعرفه الجميع فى صوره المتعددة أو صورته المنفردة متى كان ذا شخصية تتسم بسمعة السمة الواحدة فهو فرد معدود تقدر قيمته بصفته وسلوكه المتعارف عليه .

ولقد كان بين صفوف المحاربين فى معارك العصر الجاهلى انماط عديدة من تلك الشخصية التى اتسمت بالصفة الفردية أو بالصفات العديدة . وأبلو جميعا فى ساحات الحرب بلاء حسناً حتى شهد لهم بذلك الأعداء

والأصدقاء على السواء . فكانت سيرتهم تعبق جو المعارك وتحفز المقاتلين على الإقدام وترهب الأعداء وتفزعهم حتى يولوا مدبرين يلحقهم عار الفرار وتحيق بهم الهزيمة .

ولم تكن تلك الشخصيات فى قبيلة دون غيرها . ولكن تواجدت فى كل قبيلة وإن كانت مختلفة فى درجات بعث الرعب فى نفوس الأعداء أو الثبات والصبر فى قلوب المقاتلين . فمنهم من كانت سمعته الحربية وجرأته القتالية تذاع بين الجزيرة العربية قاطبة ، وآخرون تحددت سمعتهم فى محيط قبلى أو ربع أو جاوز ذلك قليلا . وبقدر تواجد هؤلاء القوم فى صفوف المقاتلين بقدر ما يكتب لهم ولأتباعهم من نصر مؤزر وتدور الدائرة دوماً على من يناصبهم العداء وتسول له نفسه ان ينازلهم .

وإذا كانت سجلات التاريخ وروايات المحدثين قد حفظت لنا بعض اسماء هؤلاء الأبطال المهابين فإن نصوص الشعر الجاهلى الصادقة قدحفلت بالعديد من قصص البطولة التى يشاهد الباحث فيها سمات البطل واقدامه وتوغله بين صفوف المقاتلين ويسعد بخطواته منذ لقاء الأعداء حتى يحقق النصر المبين ، وما أصدق روايات الشعر حين تخلو من المبالغات وتبعد عن الغايات ويتقبلها العقل بقبول حسن .

والإعلان عن شخصية البطل بين صفوف المقاتلين أمر ضرورى وغرضه معروف . وكثيرا مايتولى البطل بنفسه الإعلان عنها بشعره وابراز ذاته بين رجال الصفوف الأولى غير هياب حتى ينال استمرارية ذكره بين القبائل بأنه المقدام الجسور البين المكان الظاهر الملامح لكل من سولت له نفسه أن ينازله أو ينال منه . ومن ذلك ماكان يجهر به . عنترة العبسى

الذى تحرى الا يدخل إلا المعارك الطاحنة المخيفة (١)

أنـــ فى الحـــــرب العـــوان غـــير مجهـــول المكـــــان
أيـــا نـــــادى المنـــــادى فى دجـــــى النقـــع يـــرانى

فتلك أمارته وعلامته المميزة حتى غدا قومه جميعا فى ساحة الوغى (٢)

يدعون عنتر والرماح كـــأنها أشطان بئر فى لبـــان الأدهـــم

وما أحب أن يقدم الشاعر البطل بنفسه يقدمها هدية لقومه وتحقيقاً لانتصارهم غير باخل بأعز ما يملك ؛ وتلك سجية الأبطال الذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ؛ ويقدمون العطاء مدراراً . (٣)

وإنى لـ الحرب الضروس موكل بإقدام نفس ماأريد بقاءهـــــا

وأحيانا يخص ذاته بالإنتماء للحرب الضروس وأخرى لا يبخل على قومه بنوال شرفه (٤)

ونحن حماة الحرب ليست تضيرنا نسوق خميسا كـالقطا متبـــددا

ب : اسلوك القتالى والا ستعداد النفسى : —

وإنما كان يسعى الشاعر الجاهلى البطل المقاتل لإظهار فرديته فى أول اشعال لمعركة ؛ حتى يجهز نفوس القوم لمقدمه وتطمئن إفئدتهم إلى النصر المؤزر متى التفوا حوله وهجموا بهجومه وتمثلوا ببسالته (٥) قائلا :

---

(١) ديوان عنترة
(٢) ديوان عنترة
(٣) ديوان قيس بن الخطيم ١٠
(٤) ديوان قيس بن الخطيم ١٥٤
(٥) ديوان عامر بن الطفيل ٥٧ .

وأنا ابن حرب لا أزال أشبها سمراً وأوقدها إذا لم توقد

وإذا كان الشاعر قد أعلن عن نفسه وأنه ابن الحرب فلاشك أنها هى الأخرى تحنو عليه . وتدعوه متى تاقت اليه . فيلبى مطلب أمه طائعاً فرحاً بنفس راضية واستعداد طيب (١)

لقد تعلم الحرب أنى ابنها وأنى الهمام بها المعلم

ولم تكن البنوة قاصرة على الشاعر بفرديته ؛ بل كثيرا مانجد إخوة له بررة بأمهم مثله . لايبخلون عليها بكل نفيس . ويفخرون بانتمائهم للحرب تلك الأم الحنون التى تضم اولادها اليها وتحافظ عليهم كما يحافظون عليها ويخلدون ذكرها ويدفعون عنها كل غاصب وطامع ؛ ويعلن الشاعر ذلك على الملأ وتتناقله القبائل أن الحرب قد أنجبت أبناء بررة فى قبيلة معينة فخذوحذركم والويل لمن تسول له نفسه أن ينال منها أو من أبنائها فهم أسود عرينها (٢)

وقد علمت عليا هوازن أننا بنو الحرب لانعيا بورد ولاصدر
نشد عصاب الحرب حتى نديرها إذا ما نفوس القوم طالعت الثغر

والشعراء المحاربون دائما يبرزون صور البطولة فى استعدادهم النفسى للحرب ويعلنون عن عدتهم التى تختلف عن العتاد الحربى لدى الأعداء وكيف أنهم أعدوا للحرب ودربوا على خوض غمارها (٣) كما قال أوس بن حجر .

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ١١٩ .
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ .
(٣) العصر الجاهلى . د . شوقى ضيف ٢٢٩ .

وإنى امرؤ أعددت للحرب بعدما رأيت لها نابا من الشر أعصلا

وتصبح الحرب المدربة سمة من سمات القوم يعرفها الأقارب والأباعد وكأنها خالصة لهم من دون الناس بما اشتملت عليه من فرسان أقوياء ، وعدة حربية لا تغلب ودعائم نفسية لا تتزعزع . وقد عبر بذلك الشاعر حرب ابن أمية — جد معاوية ابن ابى سفيان — لابن براء فى حرب الفجار (١) معلنا عن قومه بصورة تختلف عن مألوف الصور التى يراها الزائر فى حال ضيافته بعثاً للرعب والرهبة فى النفوس .

متى ماتزرنا تجد حربنا مدربة نارها تسطع
وقوما عليهم من السابغات جياد قوانسها تلمع
مصابيح مثل نجوم السماء ومارفع الله لا يوضع

ولقد كان للاستعداد النفسى أثر كبير فى تحطيم معنويات الآخرين متى استخدم الإنسان الدوافع الكافية فيه وأطلقها قبل الالتحام فى المعركة فالدافع قوة نفسية فسيولوجية تنبع من النفس وتحركها مثيرات داخلية أو خارجية فتؤدى إلى وجود رغبة ملحة فى القيام بنشاط معين والاستمرار فيه حتى تتحقق هذه الرغبة ويتم اشباع هذا الدافع بما يخفف من حدة التوتر النفسى ، وتعتبر الدوافع النفسية محركات السلوك وأساس التصرف (٢) وذلك ماحرص عليه شعراء الحرب فى الجاهلية

وكأنى بشعراء العصر الجاهلى يفرقون بين السلوك الهروبى والسلوك القتالى ، ويعرفون ان الأخير هو الأولى بمن أراد الحياة وسعى لها سعيها وهو مقدام غير هياب . فهناك الشخص الذى لا يقوى على مواجهة

---

(١) التذكرة السعدية ٢١١ .

(٢) علم النفس التربوى ١١١ .

صعوبات الموقف فيستسلم وينسحب من الموقف وهذا مايسمى «السلوك الهروبى» ولكن ربما يحاول الشخص الكفاح والمثابرة ويعتاد العناد والإصرار وبذل الجهد للانتصار على الموقف وهذا مايسمى « السلوك القتالى » (١) وهذا مايعلنه الشاعر الفارس الطفيل الغنوى الذى يعبر عن عدة نفسيه تساندها أخرى حربية يأمنون بهما شر كل طاغية (٢)

وفينا تسرى الطولى وكل سميدع ... مدرب حرب وابن كل مدرب
طويل نجاد السيف لم يرض خطة ... من الخسف وراد إلى الموت صقعب (٣)
وفينا رباط الخيل كل مطهم ... رجيل كسرحان الغضا المتأوب

ويبرز صورة السلوك القتالى الشاعر عبيد بن الأبرص موضحا أن قومه يسيرون للحروب الطاحنة أقوياء يزيدون إشعالها ويمنعون الناس من أن ينالوا منهم ، وكأنهم أنعام يقودهم قوم عبيد ولا ناصر لهم (٤) .

ونسير للحرب العوان إذا بدت ... حتى تلف ضرامها بضرام
نأبى على الناس المقادة كلهم ... حتى تقودهم بغير زمام

وسيأتى الحديث مطولا عن هذين النوعين من السلوك حال وصف المعارك الضاربة .

إن عملية الاستعداد النفسى فى الشخصية المحاربة تختلف عنها فى شخصية الشاعر . فبينما يستعد المحارب ويفكر كيف يوجه ضرباته ، وأين مكامن خلل الأعداء لينال منها ، وما الحيل التى يمكن ان تحقق له الإنتصار ،

---

(١) علم النفس التربوى ١٥٢ .
(٢) شعر الطفيل الغنوى ٥١٤ كرنكو
(٣) الصقعب : الطويل .
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص ١٢٣

ومجهده الفردى أو التحامه مع الجماعة . نجد الشاعر المحارب يعمل قريحته لاشعال جذوة الحرب فى نفوس المقاتلين قبل أن تكون حقيقية على أرض المعركة . فيلهب حماسهم ويشد عضدهم ويقوى عزائمهم بحلاوة الانتصار والبعد عن عار الهزيمة . فالشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بشتى أنواعها لايقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات . بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهنى معين له دلالته وقيمته الشعورية . وكل ما للألفاظ الشعرية الحسية فى ذاتها من قيمة هنا هوانها وسيلة إلى تنشيط الحواس والهابها (١) .

وفى هذا المعنى يدور قول رجال علم النفس العسكرى حين يستعرضون الأسلحة النفسية التى يستخدمها المحاربون قبل استخدامها للعدة الحربية . وإذا كان هذا القول يتردد الآن فى محيط الحروب المعاصرة فقد عرفه من قبل شعراء العصر الجاهلى ونظموا فيه بما يتفق وقول المحدثين — إن عملية استعداد المدفعية وهجوم المشاة فى حرب الخنادق سوف تضطلع بها الدعاية فى المستقبل بأن تحطم نفسية العدو قبل أن تبدأ الجيوش بالتحرك . . . أن اسلحتنا اضطراب الذهن وتناقض المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذى ندخله فى قلوب الأعداء : فعندما يتخاذلون فى الداخل ويقفون على حافة الثورة وتهددهم الفوضى الاجتماعية تحين الساعة لنفتك بهم بضربة واحدة(٢) وسنرى هذه الفكرة مطبقة عند شعراء العصر الجاهلى .

ففى مجال الإستعداد النفسى وضرب معنويات العدو وتحطيم تجمعاته

---

(١) التفسير النفسى للأدب ٧٤ .

(٢) علم النفس العسكرى ١٥١ .

النفسية قال الشاعر الجاهلي أعشى باهلة (١) مفتخرا بدخول المعارك قبل اشتعالها . مظهراً مكانته بين الصفوف (يعني أخاه لأمه المنتشرين بن سلمة) حتى يرهب من تحدثه نفسه بلقائه .

أخو حروب ومكساب إذا عدموا ... وفي المحافل منه الجد والحذر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... من كل فج إذا لم يغز ينتظر
وراد حرب شهاب يستضاء به ... كما يضيء سواد الطخية القمر

وهذا ربيعة بن مقروم يصف شدة بأس قومه في الحروب (٢) معلنا عنهم ليرهبوا أعداءهم — قبل اللقاء الحربي .

بنو الحرب يوماً إذا استلأموا ... حسبتهم في الحديد القروما (٣)
ولولا فوارسنا مادعت ... بذات السليم تميم تميما

وذلكم الأفوه الأودي يبين مكانة قومه ومدى إستعدادهم التحسي للأقاة الأعداء وكيف أنهم يقودون الأقوام ولاينقادون لأحد . فهم الرعب في النفوس والقوة عند اللقاء والفناء عند النزال (٤) .

نقود ونأبى أن نقاد ولانرى ... لقوم علينا في مكارمهم فضلا

والمتأمل لصور الاستعداد النفسي يجدها بوضوح متألقة في شعر المهلهل والتي يعبر فيها في مواقف عديدة أنه مستعد دائماً ولن يخلع عدته الحربية مادامت الحياة (٥)

---

(١) الأصمعيات ٩٠ .
(٢) المفضليات ١ / ١٨١ .
(٣) استلأم : لبس السلاح ويقصد بها الدروع ، القروما : فحول الإبل
(٤) الطرائف الأدبية ٢٢ .
(٥) ديوان المهلهل ٢٠٤ .

ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار

وما أصدق تلك الصورة الشعرية المكتملة التي تعبر عن الاستعداد النفسي في لقاء العدو كما رسمها عنترة العبسي . وهو الشاعر المشهود له بالبطولة في كل معاركه . وقيادته الحسنة لكتائب المحاربين . فكان لزاماً عليه أن يقدم للاعداء اعلاناً عن نفسه وكأنه الإنذار بلغة الحرب . فعبر عن نفسه التي لاترهب الموت وشكله الذي يبعث على القلق والاضطراب النفسي لدى الاعداء ناهيك عن عدته الحربية وفرسه المعروف . وكأني به يبعثها صيحة مدوية : (١)

متى ما نلتقي فردين ترجف روائف اليتيك وتستطارا
وسيفي صارم قبضت عليه اشاجع لا ترى فيها انتشارا
وسيفي كالعقيقة وهو كمعي سلاحي لا أفل ولا فطارا
وكالورق الخفاق وذات غرب ترى فيها عن الشرع ازوارارا
ومطرد الكعوب أحص صدق تخال سنانه في الليل نارا
ستعلم أينا للموت أدنى إذا دانيت في الإسل الحرار

فأي عزيمة وقوة شكيمة تلك التي يبرزها الشاعر قبيل دخوله المعركة وأي خوف ينزل بمن يسمع عن تلك الشخصية الفريدة الوصف وما حوته من مكونات جسدية كلها تشكل أنماطاً متحركة متوثبة للقاء وكلها تنمي إلى الصورة التي يوضحها عنترة

ستعلم أينا للموت أدنى اذا دانيت في الإسل الحرارا

ومن صور الاستعداد النفسي عند المحاربين تلك الصورة التي أبدعها

---

(١) ديوان عنترة ٢٣٥ .

الشاعر عوف بن عطية التيمى التى يرهب فيها الأعداء وما ذلك إلا للثقة النفسية التى يتمتع بها قومه فى الانتصار فى حروبهم ضد القبائل الاخرى . ويبرز أمارات الرهبة فى انهم يلبسون جلود أشد الحيوانات فقطا وضراوة حتى ينزلوا بهم الخوف والهزيمة والفرار وهيهات أن يقف منازل لأسد أو نمر (١) .

ألم تر أننا مـــردى حروب ... نسيل كأننا دفـــاع بحـــر
ونلبس للعـدو جلـــود أسـد ... إذا لقاهم وجلود نمـــــر
ونـــرعى مارعينا بـــين عبس ... وطيئهـــا وبـــين الحـــى بكـــر
وكلهـــم عـــدو غـــير مبـــق ... حـــديث قـــرحـــه يسعى بوتـر

ومن الصور البيئية الأخرى التى تدل على استعداد نفسى أكيد ماذكره عمرو بن كلثوم فى معلقته أنهم لايكتفون بقتل الأعداء أو أسرهم . ولكنهم يطحنونهم طحنا فى منازلهم وأمام أهليهم . وهذا دليل انهم يتحكمون فى أنفسهم بسعيهم لديار الأعداء وتأديبهم فهم هجوميون منتصرون (٢) . ويعلنها قبل دخول المعارك دوماً .

مـــتى ننقـــل إلى قـــوم رحانا ... يكونوا فى اللقاء لها طحينـــــا
يكون ثفالها شـــرقى نجـــد ... ولهوتها قضاعـــة أجمعينـــــا

وكما تكون الحكمة والتروى فى الاستعداد النفسى للقاء العدو يكون الإقدام والموافقة (٣)

---

(١) المفضليات ٦٣٩ .
(٢) معلقة عمرو بن كلثوم .
(٣) قيس بن الخطيم ، ديوانه ١١ .

رجال متى يدعوا إلى الموت يرفلوا اليه كإرفال الجمال المصاعب

وسمة الإستعداد النفسى جلية فى أهل البادية . فهم فى يقظة تامة واستعداد دائم حتى صدق عليهم قول شاعرهم (١)

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرقات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ماقال برهانا

وربما يرجع ذلك لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب . قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لايكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم . فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق ويتجافون عن الهجوع إلا غرارا فى المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب . ويتوجسون للنبآت والهيعات وينفردون فى القفر والبيداء مدلين بأسهم واثقين بأنفسهم قدصار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع أواستنفرهم صارخ (٢) وهذه الصورة التى رسمها ابن خلدون تنطبق بكل تفاصيلها على قول شاعرهم (٣)

متى ما تلقنى ومعى سلاحى تلاق المنون ليس له عديل

فتقديم الشخصية على السلاح مع المحارب يدل دلاله قاطعة على استعداده النفسى والثقة التامة فى مكانته وكأنه يمثل فرداً من تلك الجماعة التى تأبى أن تهزم أو يمسها أحد بسوء . ودائما تهتف بثقة واستعداد نفسى (٤)

---

(١) هو قريط بن أنيف من بلغير بن تميم : التذكرة السعدية ٥٠ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٩ .
(٣) للشاعر الأعلم الهذلى (شرح اشعار الهذليين ٦٣) .
(٤) للشاعر شريح بن حارثة اليربوعى (أيام العرب ٩٧) .

ونرعى حسى الأقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذى نحمى

ج : تماسك الشخصية و اقدامها :.

ومن أهم العوامل الذاتية لإقدام المقاتل واندفاعه إلى ساحة الوغى أن يكون مستعداً بعدة نفسية أكيدة تدفعه لصد الغارات ومنازلة الأبطال فلا يتباطأ يستبقى حياة يملأها الذل والعار . وإنما حياته أن يكون فى مقدمة المحاربين الأقوياء . وهذا ما أشاد به شعراؤهم (١) .

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وما أحسن استعداد عنترة العبسى النفسى الذى كان يدفعه دوماً إلى المحاربة فى أى اتجاه من الأرض حيث يسمع صيحة أو استنجاداً من القوم فهو فى دائم . وحياته فوق صهوة جواده — وهو ما أطلق عليه العسكريون دزوة الاستعداد . فيقول عن محبوبته ونفسه (٢) .

تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتى سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزم

وكان استعداده بهذه الصورة الدائمة هو خير دافع على الاقدام فلا رهبة ولا خوف . (٣)

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها : إن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل

---

(١) الحماسة ١ / ٣٨ والبيتان للشاعر الحصين المرى .
(٢) معلقة عنترة .
(٣) الحماسة ١ / ٦٧ .

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى أن امرؤ سأموت إن لم أقتل
وإذا حملت على الكريهة لم أقل بعد الكريهة : ليتنى لم أفعل

إن الشخصية المتسمة بالاستعداد النفسى شخصية متماسكة متكاملة لديها من الاتزان الانفعالى ومرونة التكيف مايجعلانها تواجه موقفها الجديد فى الإقدام مواجهة سليمة . وهذا مايتضح من شخصية المحارب البطل ، فحينما يتعرض كيان شخصيته وسلامتها للخطر وتثور صراعات نفسية شديدة بين الرغبة فى الفرار طلبا للأمن والبقاء تأدية للواجب أو تخوفاً من العقاب أو العار ويهتز بناؤها واتزانها وتصير عرضة للتفكك والانهيار (١) نجده يحتكم إرادته ويقدم غير هياب بين الصفوف يفتش عن حياته كما كان عنترة وأترابه يقولون :

وإذا حملت على الكريهة لم أقل بعد الكريهة : ليتنى لم أفعل

أو يرددون قول حاجب بن دينار المازنى (٢)

ألم علمى أنا إذا الحرب شمرت سمام على اعدائنا فى الحلاقم
عتاة قراة فى الشتاء مساعر حماة كماة كالليوث الضراغم
بأيديهم سمر من الخط لدنة وبيض تجلى عن فراخ الجماجم

وإذا كان الاقدام من سمات الاستعداد النفسى للمقاتل فإن الروية وتدبير الأمر فى كل المواقف من سماته كذلك . فالحكيم من أقدم حيث يستحب الاقدام وأعرض حين يجب الإعراض دون أن يلحقه عار الفرار أو الجبن . فنفسه دوماً فى حالة أهبة للإقدام أو تدبر للإعراض . وهذا ما قاله أبو خراش الهذلى (٣) :

---

(١) علم النفس العسكرى ٣٥ .
(٢) العقد الفريد ٦ / ٦٠ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٩ .

فإن تزعمى أنى جبنت فإننى أفر وأرمى مرة كل ذلك
أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا وأنجو إذا ماخفت بعض المهالك

ومن دعائم تماسك الشخصية المقاتلة واقدامها أن تكون شخصية هادئة، حتى تحسن التفكير والتدبر فى كل الأمور . فإن الحجر الأساسى فى بناء تلك الشخصية هو الهدوء النفسى الذى ينبثق من داخل الإنسان رغم المعارضة التى تقاومه والمصاعب التى تواجهه والأحزان والمصائب التى تنأب عليه إنه ضرب من التماسك الذاتى الصميم الذى يجعله تجاه الحادث المؤلم كأنه لم يكن . فالهادئ يتألم موضوعيا لا ذاتيا ، بمعنى أنه لا يعطف على نفسه فى الملمات الكبار ، ولا يخفق من أجلها . وإنما يعيد النظر دوماً فى الماضى بكل روية وأناة إلى أن يستعيد قوته رويداً رويداً . وتشتد معنوياته ثم يستأنف خوض المعركة وهو مسلح بالعبر الماضية والمواقف السابقة (١) وهذا ما أعلنه الشاعر الشنفرى (٢) من هدوئه النفسى وعدم مبالاته بالموت حتى لو زحف اليه ، فإرادته على لقاء الأعداء ومن يدبرون له الهلاك قوية ، ويفكر بصوت مسموع عن استعداد نفسى متماسك ، فليس بالطائش الذى يتحدث ويتوعد ويجبن عند اللقاء ، ولا بالغر اللئيم الذى لا يفى بما تحدثه به نفسه ، فمتى أخلص الناس له الود قابلهم بمثله . وإن اراد وابه الغدر فالويل لهم مما دبروه له . وذلك بحق سمة النفس الهادئة المعتبرة من الماضى والمواقف السابقة :

إذا ما انتنى ميتتى لم أبالها ولم تذر خالاتى الدموع وعمتى
ولو لم أرم . فى أهل بيتى قاعداً إذا جاءنى . بين العمودين . حمتى

---

(١) علم النفس العسكرى ٥٤ .
(٢) موسوعة الشعر العربى ١ / ٨٤ .

الا لا تعدنى . إن تشكيت خلتى شفانى . بأعلى ذى البريقين غدوتى
وإنى لحلو إن أريدت حلاوتى ومر إذا نفسى العزوف استمرت
أبى ما أبى . سريع مباءتى إلى كل نفس تنتمى فى مسرتى

ومن معاودة الأبطال لأنفسهم وبث الثقة فى النفوس المقاتلة متى خسر القوم معركة أو نال منهم الأعداء قول قتادة بن مسلمة الحنفى (١) حين لامته زوجه أنه أضر قومه ومن معه من الفرسان فى احدى المعارك فقال لها إن الحرب سجال . ورحاها دائرة ولكن قوى العزيمة رابط الجأش من لا يركن إلى الدعة ويستسلم للهزيمة . وتتماسك نفسه وتنهى صراعات التردد إلى الإقدام او الإصرار على تحقيق الفوز . وتلك سجية الأبطال الذين يراجعون مواقفهم الماضية ويوطنون أنفسهم على النصر المبين .

بكرت على من السفاه تلومنى سفهها تعجز بعلها وتلوم
لمارأتنى قد رزئت فوارسى وبدت بجسمى نهكة وكلوم
ماكنت أول من أصاب بنكبة دهر وحى باسلون صميم
قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم والخيل فى سيل الدماء تعوم
ومعى أسود من حنيفة فى الوغى للبيض فوق رءوسهم تسويم
قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم فى البيض والحلق الدلاص نجوم
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو الغنائم أو أموت كريم

إن هذا الشاعر لم يستسلم للهزيمة وانما جاهد نفسه وزوجه باصرار العنيد على تحقيق نصر مؤزر أو موت شريف . ولو لا أن لوم امرأته

(١) التذكرة السعدية ١٤١ .

قد أثر فيه وزاد انفعاله ماصمم على موقفه واستعداده النفسى فقد تبين لعلماء النفس أن أهمية الانفعال ودرجته فى الاندفاع لبذل الجهد يتساوى مع أهمية الحوافز والمحمسات التى تقوى الدوافع وتؤدى إلى المزيد من العمل (١) ويمثل هذا الموقف حرص الشاعر الجاهلى على درجة استعداد النفس للقتال .

د : غريزة المقاتلة : —

وتتميز الحياة العسكرية بالقدرة على التحكم فى الذات المنبثقة من التفكير والتخيل . وربط الأهداف الماضية بالحاضرة والمقبلة ثم التحكم فى السلوك . وهو ضرورة أساسية فى جميع الواجبات العسكرية سواء وقت السلم أو الحرب . وهو سبيل هام لاقرار الضبط والربط وهو أعظم مايتحلى به النظام العسكرى . كما أن القدرة على تحمل المسئولية وتقديرها حق قدرها من الصفات البالغة الأهمية لدى القادة العسكريين على جميع المستويات (٢) .

ولقد تحمل أبطال الحروب الجاهلية مسئوليتهم كاملة تجاه قومهم فأوفوا بما عاهدوهم عليه من بلاء حسن وتحقيق نصر ورفع مكانة القبيلة مؤمنين أن هذا الوفاء من سمات الشخصية الناضجة . ولننظر إلى قول شاعرهم مفروق بن عمرو الشيبانى حين أغاروا على السواد بعد مقتل النعمان بن المنذر (٣)

---

(١) علم النفس التربوى ١١٦ .

(٢) علم النفس العسكرى ١٧ .

(٣) التذكرة السعدية ١٤٨ .

سائل فضاعة هل وفيت بذمتى أم هل أضعت العهد حين وليت
ولرب أبطال لقيت بمثلهم فسقيتهم كأس الردى وسقيت
فلأطلبن المجد غير مقصر إن مت مت وإن حييت حييت

فهذا إصرار الواثق من نفسه المستعدة دائما لتحقيق مأربه بدافع سلوكى لاشباع حاجته . وهى رغبة طبيعية يهدف الكائن الحى دائما إلى تحقيقها بما يؤدى إلى التوازن النفسى والانتظام فى الحياة . (١)

ومما لا شك فيه أن هذا الاستعداد النفسى الذى تعددت صوره عند المحاربين من رجال العصر الجاهلى وليد غريزة المقاتلة ، وتلك من مجموع الغرائز التى صنفها علماء النفس وقالوا عنها : إن انفعالها الغضب ، ونلمس هذا فى النزعات العدوانية والميل لإيذاء الغير وحب المشاكسة والعراك(٢)

ولعل أوضح صورة توضح تلك الغريزة ما افتخر به الشاعر عمرو بن كلثوم فى معلقته حين قال : (٣)

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملأه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا

إن الشاعر حين نظر إلى أن العالم الذى يعيش فيه عالم عدوانى كان عليه شعوريا أو لا شعوريا أن يقاوم هذا العدوان ويحاربه ، وانخرط فى نمط من البشر كان الإحساس أو الرغبة الأولى لدى هذا النمط هى الرغبة فى أن يكون قويا مسيطراً على الآخرين ويهزم أعداءه أيا كانوا وأينما

---

(١) علم النفس التربوى ١٣٣ .
(٢) علم النفس التربوى ١٢٢
(٣) معلقة عمرو بن كلثوم .

حلوا . وبسبب حالة عدم الثقة هذه فى الآخرين فإن دفاعاته تكون دائما فى حالة استعداد . فهو دائماً فى تيقظ لحماية نفسه وفلسفته السائدة هى أنه ليس هناك حق بدون قوة تحميه (١) . وتلك سمة تماسك شخصية المحارب .

وهذا ما عبر عنه الشاعر الفارس قيس بن الخطيم فى بيته المشهور : (٢)

وكنت امرأ لا أسمع الدهر سبة أسب بها الا كشفت غطاءها

ويعبر عنترة العبسى عن غريزة المقاتلة وكيف أنها ولدت معه وعاصرته فى كل لحظة من حياته قد كان رضيعاً فى مهده لا تؤنسه أغنية أمه ولا يلهو بدمية ملونة أو لعبة ذات صوت شجى وانما كانت أسلحة الحرب هى خير مايؤنسه (٣)

أطيب الأصوات عندى حسن صوت الهندوانى

وصليل الرمح جهراً فى الوغى يوم الطعان

ومعى فى المهد كانا فوق صدرى يؤنسانى

ويصدر الشاعر بشامة بن عمرو لقومه نصائح غالية تعبر عن غريزة المقاتلة فيه وينقلهم من حاله السلم إلى حالة الحرب والطعان وأن يتسلحوا بكل أسلحة المعارك . وكأنه ينقل غريزته اليهم حتى يهبوا ملبين نداءه (٤)

ولا تقعدوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولا

وحشوا الحروب إذا أوقدت رماحاً طوالا وخيلا فحولا

---

(١) سيكلوجية الشخصية . د . سيد غنيم ٥٦٢ .

(٢) الحماسة ١ / ٩٦ .

(٣) ديوان عنترة ٢٢١

(٤) المفضليات ٦٠ رقم ١٠ .

ومن نسج داود موضونة ترى للقواضب فيها صليلا

وغريزة المقاتلة كامنة فى نفس الإنسان . ومن يدير المعركة ويسعد بسيطرته على رجالها هو الذى يستطيع أن يوقفها ولوالى حين حتى تكون مفاوضات أوانسحاب أو معاهدات . وهذا ماعناه الشاعر عبيد بن الأبرص بقوله : (١)

وإنى لأطفى الحرب بعد شبوبها وقدأوقدت للغى فى كل موقد

فأوقدتها للظالم المصطلى بها إذا لم يزعه رأيه عن تردد

وهذا نفس الموقف يتكرر عند المهلهل بن ربيعة حين يعبر عن نفس تملأها شرور الحرب فيما كان بين قبيلتى تغلب وبكر . وهو المسيطر عليهم جميعا فى ساحتها ويتحكم فيهم وفق ماتمليه نفسه من سيطرة وممارسة لغريزة القتال . (٢)

يارب يوم يكون الناس فى رهج به ترانى على نفسى مكاويها

مستقدماً غضصاً للحرب مقتحماً ناراً أهيجها حينا وأطفيها

وهذا الميل — وفق غريزة المقاتلة — إلى السيطرة قد يكون فى صورة ضمنية أحيانا أى فى شكل مساعدة للغير وبطريقة إنسانية ؛ وفى ثنايا هذه المساعدة للغير تكمن الرغبة فى القوة والسيطرة على الآخرين . وقد تكون هذه الرغبة فى السيطرة عن طريق مساعدة الغير لا شعورية ، وقد تكون شعورية كذلك (٣) .

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٧ .

(٢) موسوعة الشعر العربى ١ / ١٩٣ .

(٣) سيكلوجية الشخصية ٥٦٢ .

وخير من يمثل هذه الصورة الضمنية لغريزة القتال ماقاله عنترة فى إحدى معاركه وكيف أنه يقود قومه بحملة تسمى بأسمه حتى يرهب الأعداء ويفتك بهم وانه يتولى كل أمر فيهم . فيأخذ بالثأر . ويرد المعتدين . ويفرق شملهم . ويتحمل فى ساحة الحرب مايصعب على غيره حتى الجبال الشم(١) .

وأحمل فيهم حملة عنترية ... أرد بها الأبطال فى القفر تنبج
وأصدم كبش القوم ثم أذيقه ... مرارة كأس الموت صبراً . يمجج
وآخذ ثأر الندب سيد قومه ... وأضرمها فى الحرب ناراً تؤجج
وإنى لحمال لكل ملمة ... تخر لها شم الجبال وتزعج

د : **التعبئة العامة للقتال** : .

ومن الأمور المتعارف عليها بين رجال علم النفس الحربى أنه فى حالة الحرب العامة يجب أن تعبئ الدولة جميع مواردها ومصادر قوتها لخدمة أغراض الحرب . ويجب أن يكرس كل فرد جميع جهوده وان يهب حياته للدولة . . . ويجب أن يوجه الجميع توجيها خاصاً بحيث تتوحد أفكارهم ودوافعهم واهدافهم وعقائدهم وتتحد صفوفهم نحو غاية واحد هى الانتصار على العدو (٢)

وإذا كان هذا تخطيط رجال العصر بعد تمحيص الفكر والدراسة المستفيضة للحرب واساليبها ومتطلباتها فإن شعراء العصر الجاهلى قد ادركوا ذلك من قبل ورددوه كثيرا فى شعرهم باعتبار أن القصائد آنذاك هى

---

(١) ديوان عنترة ١١٢

(٢) علم النفس الحربى ٥ .

وسيلة الإعلام ومصدر التحرك العسكرى فى كل موقعة . وقد أدركوا ذلك بعد ممارسة وبعد نظر وتدبر فى الأمور وروية صائبة .

ومن صور الحث على الدخول فى المعارك وضرب الأعداء ضربة واحدة وتقليد أمر القيادة الشخصية معلومة الأبعاد العسكرية مجربة أساليب الحرب ماقاله الشاعر لقيط الأيادى إلى شيبان فى يوم ذى قار ضد كسرى الذى استحل شره وضاق الناس بحربه وجنده . فهتف بهم واستمعوا لنصحه حين قال : (١)

ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا	على نسائكم كسرى وماجمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم	ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم . لله دركم	رحب الزراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفاً إن رخاء العيش ساعده	ولا إذا عض مكروه به خشعا
مازل يخلب هذا الدهر أشطره	يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمر على شزر مريرته	مستحكم الرأى لا قحماولاضرعا(٢)

وقد حرص شعراء الجاهلية على ضرب الأمثال للناس بغيرهم من القبائل المنتصرة مؤمنين إيمانا نفسياً بأن مثل هذا الموقف وتبيانه للقوم يثير فيهم الحمية ويجعلهم ينطلقون إلى المعاركة غير هيابين من قوة العدو مهما كبرت فهم قد تسلحوا بالعدة النفسية وصمموا على النصر حتى يرتفع

---

(١) أيام العرب ٣٩ .

(٢) القحم : الكبير من الإبل ، وفى اللسان إذا شبه به الرجل كان حائراً .

ذكرهم بين القبائل كما ارتفع ذكر إخوة لهم من قبل وذلك ضرب من التعبئة النفسية للحرب .

ومن ذلك ماقاله الشاعر المتلمس فى إحدى قصائده (١) يعبئ قوة قومه ويستحثهم على تحقيق النصر ويحذرهم عار الهزيمة أو الدعة والاستسلام .

إن الهوان حمار الأهل يعرفه ... والحر ينكره والرسلة الأحد
كونوا كبكر كما قد كان أولهم ... ولا تكونوا كعبدالقيس إذقعدوا
يعطون ماسئلوا والحظ منزلهم ... كما أكب على ذى بطنه الفهد (٢)
ولن يقيم على خسف يسام به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فما يرثى له أحد

ومن الناس من يعتبر القتل مكرمة ويحث قومه على القتال . وماذلك الا لحاجة فى نفسه يراها أن العار فى الدعة والخضوع لسلطان الغير والأبى من يجعل قوته وعزيمته ظاهرة للعيان حتى يرهب الناس جانبه ويتخطاه العار وتلك سمة جاهلية أدركها الأعشى فى قوله (٣) فى وصية لقومه :

إن الأعز أبانا كان قال لنا ... أوصيكم بثلاث إننى تلف

ومن هذه :

وقاتلوا القوم إن القتل مكرمة ... إذا تلوى بكف المعصم العرف

وإذا كان الشعراء الفرسان فى العصر الجاهلى قد دربوا أنفسهم على على خوض المعارك . وحشدوا فرقاً عديدة من قومهم لمواجهة الأعداء عملا بتعبئة قوى القبيلة للقاء المرتقب فإنهم قد احسنوا صنعاً حين أرسلوا

---

(١) شعراء النصرانية ٣٤٣ .
(٢) الفهد : النائم القافل عما يجب تعهده .
(٣) مختار الشعر الجاهلى ٢٨٦ .

الإنذارات فى شكل وعيد وتهديد حتى يرهبهم الخصم ويولهم الأدبار قبل لقاء الأبطال المدربين على الحروب . وفى هذا الموقف تتعدد الصور النفسية لاختيار الوقت المناسب والفئة المقصودة وأمارات التهديد حتى لاتكون علامة لغدر أو مباغتة ويكون بعد النظر فى الحفاظ على كيان الجيش . ومن ذلك ما أبدعه عنترة فى إغارة على بنى زبيد احدى قبائل اليمن قبل أن ينال منهم وجنوده (١) .

الا من مبلغ أهل الجحود ... مقال فتى وفى بالعهود
سأخرج للبراز خلى بال ... بقلب قد من زبر الحديد
وأطعن بالقنا حتى يرانى ... عدوى كالشرارة من بعيد
إذا ما الحرب دارت لى رحاها ... وطاب الموت للرجل الشديد
ترى بيضا تشعشع فى لظاها ... قد التصقت بأعضاد الزنود
فاقحمها . ولكن مع رجال ... كأن قلوبهم حجر الصعيد
وخيل عودت خوض المنايا ... تشيب مفرق الطفل الوليد
سأحمل بالأسود على أسود ... وأخضب ساعدى بدم الأسود

وتلك صورة الأباء النفسى يمثلها عنترة وجنده فالأبى لايباغت عدوه بل يعلنه .

وكما حرص شعراء العصر الجاهلى على جمع كلمة المحاربين واعدادهم نفسيا للقاء العدو وتكتيل كل قواهم للإجهاز عليه نصحوا لهم بعدم قبول الصلح المبنى على الذل والمعايرة . فإن كانت المعاهدات على عدم الاعتداء فبعد أن ينال كل ذى حق حقه . وليحافظوا على وحدة الصف والتكتل

---

(١) ديوان عنترة ١٢١

الشعبي فى الحرب والسلم على السواء وليكن ذلك باللسان والسلاح فى وقت واحد كما قال شاعرهم النابغة (١)

فحلفت يازرع بن عمرو إننى ... مما يشق على العدو ضرارى
فلتأتينك قصائدى وليدفعن ... جيش اليك قوادم الأكوار

أما أولئك الذين رفضوا الصلح البتة فهم الذين تمتعوا بالإصرار النفسى على مجابهة القوة بالقوة وجهزوا أنفسهم وأهليهم ليخوضوا المعارك الضاربة وينجلى الموقف عن النصر أو الفناء . والإصرار والعناد من طباع الإنسان إذا ماتسلطت عليه غريزة الإنتقام وسولت له نفسه ألا يهزم أمام الآخرين . ومن هذا ماقاله القتال الكلابى . (٢)

إنى لعمر أبيهم لا أصالحهم ... حتى يصالح راعى الثلة الذيب
أو تنجلى الخيل عن قتلى مصرعة ... كأنها خشب بالقاع مقطوب

وكذلك ماقاله الأعشى (٣)

فإنى ورب الساجدين عشية ... وماحل ناقوس الصلاة أبيلها
أصالحهم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى بشرتها قبولها

و : التطامن النفسى عند المحاربين :

والانتماء للجماعة والتحدث بلسانها ضرب من التضامن والتطامن النفسى عند الانسان . فقد خلق الانسان فى جماعة والتزم بانتمائه إلى مكوناتها الخلقية وعاداتها وتصرفاتها فى شتى أمور الحياة . فلاقبل له

---

(١) العقد الثمين . ديوان النابغة قصيدة رقم ١٠ .
(٢) حماسة البحترى ٣١ .
(٣) حماسة البحترى ٣٢ .

يهجرها إلا إذا لفظته أو ضاق بها . والشعور بالتضامن يزيد من مقاومة الجماعة للمواقف الإحباطية كما يتضح إبان الأزمات التى تنزل ببعض البلدان وفى الوحدات العسكرية أثناء محاصرة العدو لها . وثمة شعور انفعالى يتصل بالتضامن ويعمل على تدعيمه بقدر مايعبر عنه . ونفسر به شعور التطابق بين الأفراد والجماعة . فكلما تطابق الفرد مع جماعته ارتفعت الروح المعنوية فيها حتى يأتى الوقت الذى تصبح فيه الجماعة بنيانا واحداً(١).

وما احوج رجال القبائل العربية فى عرض الصحراء المترامية الأطراف إلى ذلك التضامن والعمل على التطابق مع بعضهم البعض . وقد تمثل ذلك الانتماء النفسى للجماعة فيما نظمه الفوارس الشعراء حين تحدثوا عن قومهم المحاربين بضمير الجمع . ونسبوا إلى الجميع كل تقدم وانتصار . وإن كان بعضهم قد تحدث بضمير المفرد فإنه عاد ليلتحم مع الجماعة فى شكل تام وليعبر عن ذاته كجزء منها . وتلك سمة نفسية أدركها الفرد بكيانه وعرف أن فرديته لاتحميه ولا تنجبه من المهلكه إذا ما تفرق عن جماعته وهذا عنترة العبسى يعبر عن الانتماء بصورة نفسية مرضية (٢)

وماهز قوم راية للقائنا ... من الناس إلا دارهم ملئت دماً
وإنا أبدنا جمعهم برماحنا ... وإنا ضربنا كبشهم فتحطما

ويؤكد صورة الأنتماء للجماعة والتحدث بلسانها الشاعر الفارس عامر بن الطفيل (٣) فى أبياته التى يوضح فيها كيف كان اللقاء والى ما انتهى

---

(١) علم النفس العسكرى ١٢١ .
(٢) ديوان عنترة ٢١٨ .
(٣) ديوان عامر بن الطفيل ٥٠ .

الأمر . . فمن تسول له نفسه أن يحاربهم سيكون مصيره كما كان هؤلاء الذين يتحدث عنهم . فهى إشادة بانتصار متضمنة لغيرهم الإنذار .

لقينا جمعهم صبحاً فكانوا ... كمثل الضأن عاداهن سيد
لقيناهم ببيض مرهفات ... نقتلهم بها حتى أبيدوا
وأردفنا نساءهم وجئنا ... وقد دميت من الخمش الخدود

وهذا شاعرهم قيس بن الخطيم يعبر عن انتماء نفسى لجماعته ويذكر بسالتهم فى لقاء الأعداء ويشيد بهم جميعاً فى صورة ملؤها الفخر والشجاعة(١)

إذا تلقى رجال الأوس تلقى ... دماء أساود ونيوب نمر
ونصدق فى الصباح إذا التقينا ... وإن كان الصباح جحيم جمر

أما الشاعر العيار بن محرز المازنى أحد شياطين العرب فيحدثنا بلسان الانتماء وضمير الجمع فى صورة تفيض استعداداً نفسيا دوماً لملاقاة العدو والنيل منه عن قوة وبسالة (٢) .

ولا نرعى الهدون ولا الهوينا ... إذا خارت مصاعيب الرجال
ولكنا بنو اللأواء فيها ... جزعنا الدهر حالا بعد حال
بنا يستعطف الأمر المولى ... ونحسم داء ذى الداء العضال

ونلمح الانتماء النفسى للجماعة فى نظم الشاعر مسعود بن معتب حين تحدث بلسان القوم أولا ثم ثنى متحدثا عن نفسه (٣) .

وذو الطلح يعلم أنابه ... أسود ترشح أشبالها
وأعددت للحرب خيفانة ... تجر إلى الموت أذيالها

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ٦٠ ط بغداد ، ١٢٢ ط القاهرة .
(٢) المؤتلف ١٥٩ .
(٣) التذكرة السعدية ١٨٦ .

وتلكم صورة تقسيم حياة العربى فى العصر الجاهلى كما جاءت على لسان الشاعر معدى كرب الزبيدى موضحاً فيها الانتماء والاستعداد النفسى الدائم لدى الجماعة لصد هجوم أو شن غارة واشعال حرب فنفوسهم مجتمعة دوماً على كل حال (١) .

فيوماً نسرانا والثريد نبسه ... ويوماً ترانا نقضم الخبز يابسا
ويوماً ترانا فى الخزور نجرها ... ويوماً ترانا فى القيود عوابسا

والصورة التى تذكر دائما فى كتب الأدب عن الوحدة المتكاملة والنفوس المجتمعة والشعور بالإنتماء والتضامن فى ابهى أشكاله مانجده عند الشاعر (أبو الفتح القطامى) قوله عن قومه الذين ينتمى اليهم . (٢)

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال باديةٍ ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا ... قناً سلباً وأفراساً حسانا
وكس إذا أغرن على جناب ... وأعوزهن نهب حيث كانا
أغرن من الضباب على حلول ... وضبة أنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا ... إذا مالم نجد إلا أخانا

ومن أشد العدة النفسية فتكا بالمحاربين أن يصيبهم شئ من الذعر أو الخوف . فالثبات فى ساحة الحرب حتى ولو تناقصت العدة الحربية أمر مطلوب إذ يمكن للمحارب أن يراوغ ويباغت عدوه مادام متمتعاً بحصن منيع يتصرف داخله . وتعتبر هذه الأوقات بالنسبة للمحاربين أوقات خطر فقد قال عنها علماء علم النفس الحربى : هناك أوقات حرج وأزمات كثيرا ما يتعرض لها الجنود فى أوقات الحرب . ويختلف الناس اختلافاً كبيراً

---

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٤٢ .
(٢) الحماسه ١ / ١٨١ .

فى مقدرتكم على حسن التصرف تحت عوامل الخطر والسرعة . فمنهم من يستطيع فى حالات الخطر مثلا أن يحتفظ برباطة جأشه وسلامة تفكيره وصحة أحكامه . ومنهم من يفقد صوابه وتتحطم أعصابه ويختل عليه تفكيره فلا يستطيع أن يتصرف تصرفا سليما . ووجود مثل هؤلاء فى أية جماعة مضر بمعنوياتها . ومخل بنظامها . ومعطل لكفاءتها إذ من الممكن أن تسرى العدوى من فئة قليلة من هؤلاء الأفراد الواهنة إلى بقية المجموعة فتفسد عليها خطتها ونظامها (١) .

ولقد تنبه شعراء العصر الجاهلى إلى هذه الحالة النفسية وأدركوا عواقبها وما تصيب به القبيلة بأسرها لا الجماعة المحاربة فحسب . فأخذوا يتجهون المحاربين إلى الثبات والتمسك بالدفاع والاستماته فى القتال مبصرين بأحداث القبائل الماضية التى أصابها الوهن عند لقاء الاعداء فولوا مدبرين ولحقهم العار طوال حياتهم فكانت دعوة الثبات ورباطة الجأش خير مايلقيه الشاعر الفارس إلى زملاء الحرب ويشد به أزرهم ويقوى عزائمهم كعدة نفسية .

---

(١) علم النفس الحربى ١٩٠ .

الفصل الثانى

التخطيط النفسى للمعركة

أ – ضرب القائد وإثارة الفزع بين الخصوم:

لقد أدرك الشعراء المحاربون أن الضربة الأولى فى المعركة إذا أحسن توجيهها وقصد بها قائد الأعداء فإنها ذات فائدتين . أنها تقضى عليه وانها تبعث الفزع والخوف فى نفوس أتباعه فينقلبوا خاسرين . فكانت همة كل مقاتل أبى أن يبحث فى صفوف الأعداء عن كبشهم حتى يناله وهو مفتاح النصر لجيشه . ولقد انطوى ذلك الإدراك على فكر نفسى سديد أنه متى تداعى أساس البناء سهل هدمه .

وقد أشادوا كثيراً بقتل القائد فى صفوف الأعداء وتولية رجاله الأدبار . فهذا عامر بن طفيل يربط بين قتل القائد وفرار من معه خوفاً وفزعاً وفوزهم بسبى وأنفعال كثيرة (١) .

قتلنا كبشهم فنجوا شلالا كما نفرت بالطرد النعاما
وجئنا بالنساء مردفات وأذواد فكن لنا طعاما (٢)

ومن صور محاربة كبش القوم والقضاء عليه ماذكره عنترة كثيراً من أر مثله ماكان يدخل معركة إلافتش عن كبش الأعداء وناله بعدته

---

(١) ديوان عامر بن طفيل ١١١ .

(٢) اذواد : جماعات عددها بين الثلاثة والعشرة .

الحربية حتى يفت ذلك فى عضد من يراه من قومه ويلوذ بالفرار ويلحقه العار (١)

وأحمل فيهم حملة عنتريـــــة أرد بها الأبطال فى القفر تنبج
وأصدم كبش القوم ثم أذيقـــه مرارة كأس الموت صبراً يمجج

ومنه أيضا ماقاله عمرو بن معد يكرب مشيداً بنزال القائد حتى يخيف الأتباع (٢)

نازلت كبشهـــــم ولـــم أر من نزال الكبش بـــــدا

ومن صور الاشادة بخوف الأعداء وفرارهم من ساحة المعركة يلحقهم العار ماقاله الأودى معبراً عن موقف قومه المشرف وفرار قبائل عامر أمام سيوف القوم ورماحهم . وقد عبر بفرحة نفسية عن موطن الضعف فى صفوف الأعداء حتى صاروا عبرة لغيرهم وحتى يتجنب فعلهـــم الآخرون متى دارت بينهم المعارك : فقال مصوراً الموقعة (٣)

الا ياللهف لو شهدت قنـــاتى قبائل عامـر يـوم الصبيـــب
غـداة تجمعت كعب الينـــا جلائـب بين أبناء الحريب
فلما أن رأونا فى وغـاهـــا كأساد الغريفة والحجيـــب
تداعـوا ثم مالوا عن ذراهـــا كفعل الخامعات من الوجيـــب
وطـاروا كالنعـــام ببطن قـو مواءلة عـــلى حذر الرقيـــب

وصار الفرار والخوف والفزع من لقاء الأبطال عيباً يعير به القوم

---

(١) ديوان عنترة ١١٢
(٢) الحماسة ١ / ١٧٧
(٣) موسوعة الشعر العربى ١ / ٣٧٦ .

شتى القبائل . وعاراً يلحق بهم أنى حلوا . وهذا ماعناه الشاعر زهير ابن جناب الكلبي بقوله . (١)

ولا صبرنا يوم التقينا لقينا مثل مالقيت صداء
غداة تضرعوا لبنى بغيض وصدق الطعن للنوكى شفاء

وكذلك قوله (٢) حين هزم قومه بكراً وتغلبا .

وهم هاربون فى كل فج كشريد النعام فوق الروابى
فهم بين هارب ليس يسألو وقتيل معفر فى التراب

إن غاية البطل الشجاع أن يهزم عدوه بعدة نفسية أول الأمر . وهى خير له من استخدام أى عدة حربية . وربما بعث المحارب الرعب فى نفوس أعدائه وسلبهم قوتهم حتى تساقطوا رعباً وهلعاً . أو لحق بهم عار الفرار أو حتى غشاهم الموت . وهم لايشعرون وذلك ماحرص ان يبرزه عنترة فى كل صور بطولته وما أحسن قوله (٣)

إنى لأعجب كيف ينظر صورتى يوم الطعان مبارز ويعيش

وكذلك قوله فى أن البحث عن بث الرعب فى النفوس هو غايته (٤) حين ينازل كبش القوم أو يلقاه بقلب ملؤة الشجاعة .

حين النزول يكون غايتة مثلنا ويفر كل مضلل مستوهل

وقوله : سأخرج للبراز خلى بالى يقلب قد من زبر الحديد

فأحسن بتلك الصورة التى أبدعها الفارس الشاعر عامر بن الطفيل حال

---

(١) الكامل ١/٥٠٤
(٢) المصدر السابق ١ / ٥٠٥
(٣) ديوان عنترة ١٤٥ .
(٤) ديوان عنترة ٢٤٨ و ٥٤ .

دخوله احدى المعارك الضاربة إذ يدبر حديثا بينه وبين فرسه معلنا له أن يتقدم فالموت خير للشجاع من الفرار أو الخوف من لقاء الأعداء مالم يكن ذلك بقدر يقدره الآخرون . ويضرب لهم أمثال يوم الثبات وماذاع عن القوم من بطولة اللقاء وماحاق بهم يوم دب فيهم الخوف والفزع وولوا هاربين . (١)

إذ ازور من وقع الرماح زجرته ... وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر
وأنباته أن الفرار خزايـــة ... على المرء مالم يبل عذراً فيعذر
ألست ترى أرماحهم فى شرعاً ... وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
أردت لكيما يعلم الله أنـــنى ... صبرت وأخشى مثل يوم المشقر

وكما حث شعراء العصر الجاهلى المحاربين على الثبات والاقدام وعدم الخوف أو الفزع والاضطراب الذى يؤدى فى النهاية إلى الفرار من ساحة المعركة حثوهم كذلك على التضامن باعتبار أن تضامن الجماعة يقوى أمام التهديد الخارجى ولا يصدق هذا الا حين يتوفر للجماعة التضامن الداخلى فإن لم يتوفر نجم عن التهديد الخارجى ذعر وتفكك ومعنى هذا أن الضغط الخارجى يرفع من الروح المعنوية شريطة أن يتوفر فى الجماعة خصائص بنيوية معينة (٢).

فتعين على الشعراء أن يحدثوا المحاربين بلفظ الجماعة والا يفردوا الحديث إلى شخص معين . فالكل فى واحد وشكيمتهم قوية متى اتحدوا وتضامنوا ولم يكن تحقيق الانتصار وقفاً على فرد بذاته بل الكل يعمل

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٦٢ .
(٢) علم النفس العسكرى ١٢٢ .

ويجاهد فى سبيل نصرة الجماعة ومن هنا تقوى العزيمة وتصعب الهزيمة .

فهذا لقيط بن يعمر الأيادى ينبه قومه ويحذرهم ان يتفرقوا أمام كسرى وجنوده الذين هبوا لغزوهم فقال معلنا لهم : (١)

يالهف نفسى إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هول له ظلم تغشاكم قطعا
ملى أراكم نياما فى بلهنية ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

أما عنترة فإنه يجمع أمره ويجمع قومه معه حال اتساع رقعة الحرب مؤمنا بأنه متى كان تضامن القوم قويت عزيمتهم فناداهم وقادهم ونسب الانتصار اليهم جميعا (٢) .

لما سمعت دعاء سرة إذ دعا ... ودعاء عبس فى الوغى ومحلل
نادت عبساً فاستجابوا بالقنا ... ولكل أبيض صارم لم يبخل
حتى استباحوا آل عوف عنوة ... بالمشرفى وبالوشيج الذبل

ومن شعر الحديث عن تضامن المحاربين حتى حققوا النصر ماقاله طرفة بن العبد مفتخراً بيوم تحلاق اللمم ومعبراً عن سرور نفسى كما حققه جماعة المحاربين وحتى يكونوا فيما بعد مثلا يحتذى لغيرهم حتى يسكن النصر فى رحابهم ويهابهم الأعداء دوماً (٣)

سائلوا عنا الذى يعرفنا ... بقوانا يوم تحلاق اللمم

---

(١) حماسة الشجرى رقم ١ .
(٢) ديوان عنترة ٢٤٨ .
(٣) العقد الثمين : شعر طرفه القصيدة ١١ .

يـــوم تبدى البيض عن أسؤقها وتلف الخيل أعراج النعم ( )

وما أبدع ما نظمه الشاعر المرقش الأكبر الذى يعبر فيه بغريزة نفسية عن تضامن قومه خاصة فى حالة الحرب حيث يكونوا يداً واحدة على من عاداهم . وتعتبر هذه الأبيات من اللوحات الفنية والاجتماعية البارزة فى محيط الشعر الجاهلى . فقد عبر فيها الشاعر عن اتحاد قومه ووثوبهم وقت الحرب يلبون من ناداهم . ودفعهم ديات قتلاهم وعدم عجزهم عند نزول المكروه بهم . فهم أباة شجعان يصبرون حتى يحققوا مآربهم فى اطمئنان نفسى وروية وحكمة . وهذه من صور البطولة النفسية فى حروب هؤلاء القوم ومن براعتهم فى صياغة العدة الثنائية النفس والسلاح وتضامن الأباة الحماة المدافعين والمهاجمين على السواء . (٢)

إنـا لنرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها فى الأمن أغلينـــا
بيض مفارقنا تغـــلى مراجلنـا نأسوا بأموالنا آثـار أيدينـــا
إنى لمـن معشر أفنى اوائلهـم قيل الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان فى الإلف مناواحدفدعوا من فارس ؟ خالهم إياه يعنوتـا
إذا الكماة تنحسوا أن يصيبهـم حد الظبات وصلناها بأيدينـا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهـم مع البكاة على من مات يبكوتـا
ونـركب الكسره أحيانا فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف تواتينـــا

ولقد توج الشاعر عبيد بن الأبرص جيد الشعر الجاهلى بتلك اللوحة التى تفيض تعبيرا نفسياً عن تضامن قومه وإبرازهم فى شكل ليوث تحمى

---

(١) اعراج : جمع عرج ، وهو مابين الخمسين والمائة أو المئتين من الإبل.
(٢) شعراء النصرانية ٢٨٧ .

العرين وتصد العداة وتهزم من تسول له نفسه أن ينال من أى فرد منهم . وهم أهل حكمة وفصاحة قول وهذه من أخص سمات الأبطال إذ يجمعون حسن القول إلى قوة الشكيمة وصحة الرأى إلى سلامة العزيمة . فلا تلين قناتهم إلا بحق ولا ينال حمايتهم أو نوالهم إلا مستحق . يوفون بالعهود ويؤدون المواثيق ويسيرون فى الخلق سيرة عطرة تبقى لذكراهم أبد الدهر .

وإذا كان الشاعر قد فطن إلى جمع تلك الصفات فى هذه الصورة البديعة فهذا يدل دلالة قاطعة على أنه رأى أن تضامن القوم ووحدة صفوفهم عدة نفسية فائقة لأختها الحربية عند منازلة الأعداء وسمات بارزة ترهب الآخرين قبل الدخول معهم فى منازلة أو الالتحام فى معاركة(١).

وفتية كليوث الغاب من أسد ... ماللندى عنهم نزح ولا شحط
بيض بهاليل ينفى الجهل حلمهم ... وتفزع الأرض منهم إذهم سخطوا
إذا تخمط جبار ثنوه إلى ... مايشتهون ولا يثنون إن خمطوا
والفارجو الكرب والغمى برأيهم ... إذا تشابهت الأهواء والصرط
والخالطو معسر منهم بموسرهم ... واكرم الناس مطروقاً إذا اختبطوا
والقائلوا الفصل لاتنآد طينتهم ... ومالقولهم خلف ولا قيط
مرو للقاء ومبقو العقد إن عقدوا ... إذا اضاع من الميثاق مشترط
رجح إذا حضر النادى حلومهم ... وفيهم الزغف والخطى والربط
والمشرنية مغلول ضواربها ... يوم اللقاء وأيد بالندى سبط
لايحسبون غنى يبقى ولاعدماً ... إذا رأى ذاك منهم معشر فرط

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٤ .

ب : **الثقة بالنفس فى المعركة :**

والثقة بالنفس من أقوى الأسلحةالنفسية فى المعارك . وهى عـــدة لاترهق كاهل صاحبها وإنما تورثهالإطمئنان وتحثه على الإقدام . وتنزع منه الفزع والإضطراب . وتجعل كبائر الأمور فى نظره صغيرة حتى يتمكن منها ويفوت الفرص على من يريدون به الشر والفناء . وتهبه التفكير والتدبر والتخطيط والإقدام ولاتعقبه ندماً أو خزيا . وإنما تخلف رباطة الجأش والاضطلاع بعظائم الأمور حتى يكون فى مقدمة الصفوف المحاربة يعرض نفسه للعدو عرضاً ويفضح خططه دون رهبة حتى إذا عكن من عدوه كان إقدام نفسه أسرع من تطاول سلاحه وجسارة قلبه ٌول ماتباغت العدو وتوجه اليه الضربات دون هوادة أو توقف .

إن الثقة بالنفس هى العامل الأساسى الأول فى رفع الروح المعنوية لدى رجال الحرب . وإن الرجل المسلح بهذه الروح يساوى ثلاثة رجال من غير مسلحين بها . والروح المعنوية سرية من حيث هى غير مرئيةولايمكن لمسها . فإنها أقوى الأسلحة التى عرفها الإنسان . . وأقوى من أية قنبلة فتاكة . فقد كانت المرة بعد المرة وسيلة لقلب الهزيمة إلى نصر مبين .. فالروح المعنوية هى أكثر من حالة معادية وأكثر من حالة عقلية وأكثر من كلتيهما مجتمعتين (١) .

ولقد وجدت هذه الروح المعنوية بدرجة عالية بين صفوف محاربى العصر الجاهلى . فكان الأبطال منهم يحاربون عن ثقة نفسية تامة مؤمنين بحقهمفى الحياة مدافعين عن أموالهم وثرواتهم وأعراضهم .حتى أننا نجد

---

(١) علم النفس العسكرى ١١٠ .

الرجل منهم يهزم جماعة مسلحة بنفس عدته الحربية ولكن روحها المعنوية خاوية من العزيمة والثبات فى مواقف الدفاع أو الهجوم . ولطالما طالعنا شعر ذلك العصر بتلك الصور التى كان يكر الفارس فيها ويفر ويقطع الرقاب ويطير الرءوس يمنة ويسرة . بل ومنهم من كان يستخدم أسلحة عديدة وقد عرف لكل سلاح وظيفته فى الطعن أو القطع أو الرمى . وكانت تصوب كل هذه الأسلحة من مصدر واحد هو القلب الجسور والروح المعنوية المرتفعة .

والغرض الناتج لكل معركة هو سيكلوجى أكثر مما هو مادى . فليس الغرض الحقيقى قتل العدو حتماً أو قطع موارده . بل الغرض هو تدمير عزيمته على المضى فى القتال . (١) . وكان ذلك الغرض أكبر همهم رجال الحرب فى العصر الجاهلى فلم يعنهم القتل أو الأسر أو السبى بقدر ماعناهم قطع موارد الحياة للأعداء وأذلال أنفسهم .

إن هذه الثقة النفسية هى التى جعلت روح عنترة المعنوية عالية حتى رهب الناس مجرد سمع اسمه فى المعركة وولوا الأدبار يلحقهم عار الفرار وهذا الموقف هو الذى جعله يقول انه لايتمتع بروح معنوية عالية فحسب بل اسلحته التى يستخدمها لواتيح لجبان القلب أن يحارب بأحدها لألبسته ثقة نفسية ورفعت من روحه المعنوية حتى يتقدم لايرهب الموت بل يبحث عن السباع ويفتش عليهم ليفتك بهم (٢) .

ولو أرسلت رحمى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

---

(٢) المصدر السابق ١١٢ .

(١) ديوان عنترة

مـلأت الأرض حوفا من حسامى وخصمى لم يجد فيهـا اتسـعـا

وإن نزع الثقة بالنفس من المحاربين وتحطيم معنوياتهم هى الخطوة الأولى التى يمكن ان تؤدى لطريق الانتصار . فالحرب مهما كانت دامية طاحنة شاملة فإن العدو لايدخر سبيلا من السبل حتى يقنع خصمه بعدم جدوى المقاومة ومجابهـتها بكل منطق ومصلحة . وأن الخير كل الخير إنما يكون فى الاستسلام والتسليم له .. .. وهو لايستهدف من وراء كل هذاالا القضاء على المقاومة وروح النضال واقناع خصمه بالهزيمة (١)

ويوضح النابغة الذبيانى تلك الصورة فى قومه أنهم متى هبو الغزو غيرهم وطارت جيوشهم تبعتها الطيور الجارحة فرحةمعودة أن هذا الجيش يحقق الانتصار دائما . ويقدم لها موائد غنـية من جثث القتلى مـن الأعداء . فتلك علامةمميزة لمحالفة النصر وهـدم روح العدو المعنوية وزعزعة الثقة النفسية فى الأعداء . (٢)

إذا ماغزوا بالجيش حلـق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائـب
يصاحبنهم حتى يفـرن مفـارهم من الضاربات بالدماء الدوارب
تـراهن خلف القوم خزر عيونها جلـوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد أيقن أن قبيلـة إذا ماالتقى الجمعـان أول غالب
لمـن عليهـم عـادة قـد عرفنهـا إذا عرض الخطى فوق الكوائب

ويدور الشاعر عبيد بن الأبرص فى نزع الثقة من الناس جميعا وجعلها

---

(٢) علم النفس العسكرى ١٥٣ .
(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ١٥٩ .

خالصة لقومه فى بيت واحد هو خلاصة فكره ودعامة روح قومه المعنوية(١)

نأبى على الناس المقادة كلهم حتى نقودهم بغير زمام

ومن أبدع صور الثقة بالنفس فى تحقيق البطولة الحربية دوماً خاصة بين صفوف الفتيان الأقوياء ماصرح به الشاعر المزرد بن ضرار الغطفانى فى أنه بشخصه المنفرد حامى القبيلة والساهر على أمنها . ومتى كشف الآخرون له النقاب عن غدر أو مباغتة قابلهم بيأس وشدة لاقبل لهم بها حتى يروى رمحه من دمائهم ويفرق شملهم ، بل ولبعد ثقته فى نفسه أنه يزلزل الأرض زلزالا حال نشوب الحرب مع قومه (٢)

وقد علمت فتيان ذبيان أننى أنا الفارس الحامى الذمار المقاتل
وأنى أرد الكبش والكبش جامح وأرجع رمحى وهو ريان ناهل
وعندى إذا الحرب العوان تلقحت وأبدت هواديها الخطوب الزلازل

أما زيد الخيل فيعبر عن ثقته بنفسه وأن روحه المعنوية فى ارتفاع دوماً وذلك بأن سيفه دائما فيه كهام . وكل يوم يفكر فى صقله ولكن كثرة ما يتعرض له من تأديب المعتدين تبقية على حاله (٣) .

وقد علمت سلامة أن سيفى كريه كلما دعيت نزال
أحادثه بصقل كل يوم فاعجمه بهامات الرجال

أما حديث عنترة عن ثقته بنفسه وإرتفاع معنوياته فيضيق مجال البحث عن احتوائه . ولكن لابد من التعرض لبعض لوحاته الشعرية التى مازالت

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ — ٨٠
(٢) ديوان المزرد ٣٥
(٣) ديوان زيد الخيل ٨١

تتردد على السنة الناس حتى وقتنا الحاضر . والتى يعبر فيها بحق عن عومة ورباطة جأش خليق بأن تعيش هذه القرون (١)

إن لى همة أشد من الصخ ر وأقوى من راسيات الجبال

ومن ثقته بنفسه التى ورثته الثبات فى المعارك والصمود للأعداء الذين وجهوا اليه كل عدتهم الحربية ومانالوا منه . وما السبب فى ذلك لأنه اتخذ العدة النفسية خير سلاح يواجه به الأعداء فى صعب المواقف قبل أن يأمر أسلحته الحربية فتجيب دون تردد (٢) فيحكى لنا قصة حياته مذكان رضيعاً بروح معنوية عالية

خلقت من الحديد أشد بأساً وقد بلى الحديد وما بليت
وإنى قد شربت دم الأعادى بأقحاف الرءوس وما رويت
وفى الحرب العوان ولدت طفلا ومن لبن المعامع قد سقيت
فما للرمح فى جسمى نصيب ولا للسيف فى أعضاى قوت

ويصور حال الجبال عندما يركب للحرب وهى الشديدة البأس لا أنها تضج من ركض فرسه ، وعندما يغزون غيرهم تتبعهم عقبان الفلاة حيث تجد مأربها من لحوم الأعداء ، ولايقف عنترة عند هذا الحد بل يصف ثبات عزيمته وارتفاع روحه المعنوية حال اختطافه أبطال الأعداء دون مقاومة منهم . ويمضى فى صورته من أنه طالما يرد مناهل الموت دونما إضرار به (٣) فهو واثق بنفسه .

وإذا ركبت ترى الجبال تضج من ركض الخيول وكل قطر موعر

---

(١) ديوان عنترة ٢٠٠ .
(٢) ديوان عنترة ١٠٧ .
(٣) ديوان عنترة ١٥٣ .

وإذا غزوت تحوم عقبان الفـــلا حولى فتطعـم كبد كل غضنفـــر
ولكم خطفت مدرعاً من سرجـــه فى الحرب وهو بنفسه لم يشعـــر
ولكم وردت الموت أعظم مورد وصدرت عنه فكان أعظم مصدر

ويصل فى لوحته التى يعبر فيها عن الثقة النفسية إلى قمة الإبداع حين يلاقى الموت وينتصر عليه . وماستطاع عنترة أن يرسم تلك اللوحة إلاالأنه متمكن من مكانته النفسية ويتحكم فيها كيفما يشاء . وما ضعف وماستكان فى يوم من أيام حروبه العديدة إلا أن تلك الأيام زادته بأساً وصلابة ورفعت دوماً من روحه المعنوية فصار وحيد عصره إذا ذكر العصر الجاهلى وبطولاته النفسية والحربية كان فى المقدمة (١) يقول :

أنا الأسد الحامى حمى من يلوذ بى ونعلى له وصفا إلى الدهر يذكر
أنا الموت إلا اننى غير صابـــر على أنفس الأبطال والموت يصبر
إذا ما لقيت الموت عممت رأسه بسيف على شرب الدمـــا يتجوهر

ولا تفارق الروح العسكرية والثقة بالنفس عنترة فى أى لحظة من حياته فبينما يفتخر الناس بأمجادهم واحسابهم وجلائل أعمالهم يسمو عنترة فى ثقة نفسية وروح معنوية عالية على ماتعارف عليه الناس جميعا ، ففخره عدته النفسية تساند وتبرز العدة الحربية ، وعلو همته تعلو على من سواه من البشر حتى تجعله فى مرتبة لا يصل اليها إنسان .

وربما رجع ذلك إلى ماحققه من انتصارات خلدت ذكره . وجعلته فى مكان الصدارة من شعراء عصره فحق له أن يقول : (٢)

( ) ديوان عنترة ١٤٦ .
(٢) ديوان عنترة ١٤٥ .

إذا ذكر الفخار بأرض قوم ... فضرب السيف فى الهيجاء فخرى
سموت إلى العلا وعلوت حتى ... رأيت النجم تحتى وهو تجرى
وقوماً آخرين سعوا وعادوا ... حيارى مارأوا أثراً لأثرى

وإذا بحثنا هذه النماذج الشعرية الدالة على الثقة بالنفس وارتفاع منسوب الروح المعنوية لوجدنا انها كلها كانت تصدر عن انضباط نفسى مؤكد . تمتع به كل شاعر سواء كان فى مكان القيادة أم من عداد المحاربين الأطال فحسب فضبط الحاجات النفسية الفردية امر ضرورى وذلك لأن التعبير دون ضابط عن هذه الحاجات النفسية عند الأفراد كثيرا مايعرقل عمل الجماعة ويعرضها إلى الإخفاق فى الوصول إلى أهدافها مما يؤدى إلى حرمانها من الثواب المرتبط بالهدف (١) .

فكان كل شاعر يحرص كل الحرص أن يعبر عن حاجاته النفسية وشعوره الداخلى ويسعى جاهدا أن يحقق مأربه حتى يكون نموذجاً صادقاً أمام الآخرين بانتصاراته .

جـ — الإنضباط النفسى : —

ومن الأمور النفسية العسكرية أن يكون أفراد الجيش منضبطين فى كل حركاتهم وسكناتهم . وقد سنت لهم القوانين وألقيت عليهم التعليمات حتى لايحيد أحد من الجماعة وتقوى شوكتهم باتحادهم ويرهب العدو تكاتفهم دوماً وقديما أدرك شعراء العصر الجاهلى قيمة الانضباط النفسى وأثرها الفعال فى كسب الجولات المتلاحقة . فخططوا لأنفسهم دون قوانين معروفه بما ينبغى أن تكون عليه وحدات الجيش المقاتلة . وتوزعوا فيما بينهم مقدمة

---

(١) علم النفس العسكرى : ١١ .

وميمنة وميسرة وقلب هجوم وفرق تغطية . وعينوا لكل جماعة مايقومون به من طعن أو مبارزة أو رمى أو مطاردة . وكل هذا فى إطار الانضباط والثبات النفسى التى تمثلت فى قياداتهم وجنودهم ولأنهم آمنوا بأن القائد الفعال الكفىء هو الذى يكون حاذقاً فى خلق روح معنوية عالية فى جماعته وبارعاً فى الإبقاء عليها بمعنى أن يجعل أهداف الفرد ونشاطاته مؤتلفةمع الجماعة (١)

فلوا ستعرضنا بعضا من النصوص الأدبية فيما كان بين القيادة والجيش فى الحروب الجاهلية لوجدنا أنهم كانوا على درجة عالية من الأنضباط النفسى الذى كان يؤدى فى نهاية الأمر إلى النصر المبين .

فهذا بشامة بن عمرو (٢) يحفز قومه للقتال : ويرسم لهم الخطة الحربية التى تدل على الإنضباط فى الجندية . وماذا ينبغى أن يستخدموا من العدة الحربية بعدتهيئة النفوس للقاءالعدو والفتك به . ويضرب لهم مثل انتصارهم ومثل هزيمتهم حتى يبصرهم بكل الأمور . فإن أطاعوه نجوا أهليهم . وإن تخاذلوا ورضوا بالقعود كانت عاقبتهم الفناء والخسران المبين . فيصرخ فيهم صرخة القائد لجنده :

ولاتقعدوا وبكم منة ... كفض بالحوادث للمرء غولا
وحشوا الحروب إذا أوقدت ... رماحاً طوالا وخيلا فحولا
ومن نسج داود موضونة ... ترى للقواضب فيها صليلا
فإنكم وعطاء الرهان ... إذا جرت الحرب جلا جليلا

---

(١) علم النفس العسكرى ١١٦ .
(٢) المفضليات ٣١ .

كثـوب ابن بيض وقـاهـم بـه فسدوا على السالكين السبيـلا

أما سهيل بن شيبان (١) فيصرح لنا بأبيات نظمها فى حرب البسوس الجاهلية معلنا ان الانضباط النفسى فى المعركة لايكون فقط فى خوضها مرة واحدة وإنما يكون كذلك حال نقض العهود . وخرق هدنة المعاركة ، وفى هذه الحالة تعاود النفس خطتها وتراجع سلوك الآخرين ويتصرف الأبطال وفق خطة حربية مرسومة تدل على التحكم وضبط النفس وفت الشدة والتفكير فى العواقب فيقول :

صفحنـا عـن بـنى ذهـل وقلنـا القـوم إخـوان
عسى الأيـام أن يـرجعـن قـوماً كـالـذى كـانـوا
فلمـا صـرح الشـر فـأمس وهـو عـريان
ولم يبـق سوى العـدوا ن دنـاهـم كمـا دانـوا
مشينـا مشيـة الليث غـدا والليـث غضبـان
بضرب فيـه تـوهـين وتخضيـع واقـران
وبعـض الجهـل عنـد الجهـل للذلة إذ عـان
وفى الشر نجـاة حـين لاينجيـك إحسـان

وما أبدع مانظمه الشاعر عمرو بن كلثوم عن مواقف قومه المتعددة والتى يتضح منها الانضباط النفسى والصبر والجلد على هول المعارك ومآسيها وانهم بفضل تحليهم بضبط النفس وطول النفس وترتيب أوليات الأمور قبل أخراها فى نظام عسكرى تام استطاعوا إحراز النصر ، فاستخدامهم الحكمة فى اللقاء وحسن تقسيم وحدات المقاتلين . وتوزيع المهام الحربية

---

(١) التذكرة السعدية ٢ :

فيما بينهم وتكليف كل محارب بمهام لا يتعداها أمر عسكرى دقيق نفذوه بكل دقة . واذا كانت هذه الخطة الحربية التى عناها الشاعر مما يدخل فى صلب المعركة فإن الإعداد النفسى من الثبات والضبط والربط كان له الأثر الفعال فى نجاح كامل تلك الخطة . والمتتبع للخطوات التى رسمها الشاعر يجد الدقة فى ترتيبها ، فلا تنبو منها واحدة عن الأخرى ، ولا تقديم ولا تأخير فى البناء الحربى السليم . فالصبر والمصابرة ورباطة الجأش وتحسس خلل الأعداء والإقدام فى حذر وحسن التصرف فى المواقف الصعبة كلها عدة المحارب النفسية ، وجميعها كان يعنيها الشاعر بقوله ، حين يعبر عن انضباطه (١) .

وتحملنا غداة الروع جرد ... عرفن لنا نقائد وافتلينا
ترانا بارزين وكل حى ... قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كأنا والسيوف مسلات ... ولدنا الناس طراً أجمعينا
ونحن غداة أوقد فى حزاز ... رفدنا فوق رفد الرافدينا
ونحن الحابسون بذى أراطى ... تسف الجلة الخور الدرينا
وكنا الأيمنين إذا التقينا ... وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم ... وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا
إذا ماالملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الذل فينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... ونحن البحر نملؤه سفينة

وليس الإنضباط النفسى فى الحروب قاصراً على تحقيق النصر على العدو

---

(١) معلقة عمرو بن كلثوم .

فحسب بل يعمل على أن يتحمل المحارب تبعات الهزيمة . فلا تخور قواه أو تضعف عزيمته أو يولى العدو دبره إذا حاقت الهزيمة برجاله . فإن البطل قوى شجاع فى موقفى النصر والهزيمة . والحرب سجال . وليوطن نفسه أنه إذا تراجع وركن إلى ذل الهزيمة فالعار يلحق به صول حياته . وإنما عليه أن يراجع حساب نفسه فى كل مواقف القتال وبشئ من الإنضباط يمكن أن يعرف أسباب هزيمته وجنده . فليعمل على تجنبها وتجديد عزيمة رجاله بان الجولة القادمة ستكون خيراً ونصراً متى تحاشوا ماوقع لهم من قبل .

وقد نظم شعراء العصر الجاهلى العديد من القصائد فى شحذ عزائم المحاربين ورفع روحهم المعنوية حال الهزيمة . وبينوا لهم أن القوى الشجاع هو من يتحمل الحياة بحلوها ومرها . والضعيف نفسياً من لايثبت ولايعاود الكرة على الأعداء متى هزم . فأيام الحرب دول بينهم . ورحاها دائرة لاتتوقف وليست البطولة فى الإستسلام ؛ وذلك هو الانضباط النفسى فى ساحات القتال .

فهذا زيادة الحارثى يوضح للقوم فى انضباط نفسى أنهم سيعاودون الكرة فى الحرب . فإن هزموا مرة فستكون لهم الدائرة على أعدائهم فى أخرى (١)

فلا يدعنى قومى لليوم كريهة ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل
أنحتم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل

وما أحسن تلك الصورة التى تعبر عن طول النفس وحكمة التبصر عند

---

(١) الحماسة ١ / ١٣٠ .

الشاعر المهلهل الذى أتاه نبأ قتل أخيه كليب . فانطلق يعلن عن سير تـــه فى قومه بعد ذلك اليوم ويتوعد قاتليه حتى حقق ماعزم عليه . وما كان ذلك إلا لمراجعة التفكير وضبط النفس (١) فلم يركن للهزيمة حين هزم قومه .

خـذ العهد الأكيد عـلى عمرى ... بـتركى كـل مـاحوت الديـار
وهجرى الغانيات وشرب كأس ... ولبسى جبـــة لاتستعـــــار
ولست بخـالع درعـى وسيفـى ... إلى أن يخلع الليـل النهـــار
وإلا أن تبيـــد سراة بكـــر ... فـلا يبقى لهـا أبـداً أثـــار

فلا بد إذن من ضبط النفس وعدم الخضوع للاضطراب فى أشد المواقف . حتى يستطيع الإنسان أن يفكر فى الخطوة التالية لذلك الموقف الإحباطى . فليس بين المضطربين من يمكن أن يكون ذا شخصية نافذة ومؤثرة وإن كان فيهم أصحاب كفاءات وقيم رخيصة فالمضطرب مهما علا منصبه وتعددت مواهبه لايحظى بما يستحق ولاينال التقدير اللازم وعليه يجب أن تكون أولى خطواته هى تحصيل الصلابة والهدوء وضبط النفس (٢)

د ــ الدعاية وتثبيط عزيمة العدو :

يقول رجال علم النفس العسكرى ان الغرض الناتج لكل معركة هو سيكلوجى أكثر مما هو مادى . فإن الغرض الحقيقى ليس قتل العدو حتما أو قطع موارده بل الغرض هو تدمير عزيمته على المضى فى القتال ولا يمكن أن توجد الروح المعنوية بمعناها الصحيح إذا لم توجد الثقة بالنفس (٣)

---

(١) شعراء النصرانية ١٦٤ .
(٢) علم النفس العسكرى ٥٥ .
(٣) علم النفس العسكرى ١١٣ .

فلقد أدرك شعراء العصر الجاهلى ذلك الغرض النفسى من المعارك مع بعضهم البعض وهبوا بألسنتهم يشجعون قومهم ويشطون عزيمة غيرهم حتى تضعف فيهم الروح المعنوية ويسلبونهم الثقة بالنفس . وربما أدركوا ذلك المعنى من مخالطتهم لبعضهم البعض ومعرفة أثر الحرب النفسية على كل المحاربين ومن يدافعون عنهم . فحرص الشعرا على على استدعاء الأمجاد والمعايرة بالهزائم السابقة والتحذير من اللقاء لقادم والتهديد بكل ماهو شر لمن يقدم على الدخول معهم فى المعركة . بهذا السلاح النفسى الفتاك كانوا يكسبون الجولة الأولى فى المعركة وعليها تتوقف بقية جولات الحرب .

فهذا بشامة بن حزن (١) أحد شعراء الجاهلية لايدخل المعركة وإنما يلوح للأعداء بماضى قومه المجيد وأنهم أهل حرب دوماً ويقدمون للحروب حتى النصر وتاريخهم معروف . وهو بهذا يستخدم العدة النفسية أحسن استخدام حتى تكون له جولة مع رفاق السلاح ويكسب بلسانه جولة نفسية مثلهم بعدتهم الحربية .

قومى بنو الحرب العوان بجمعهم ... والمشرفية والقنا اشعالها
مازال معروفاً لمرة فى الوغى ... عل القنا وعليهم انهالها
من عهد عاد كان معروفاً لنا ... أسر الملوك وقتلها وقتالها

والمعروف منذ القدم أن كل حرب هى نفسية لأنها تهدف أساساً إلى الهزيمة أيا كانت الوسائل التى تستخدمها . والهزيمة هى حالة من حالات النفس تنطوى على زوال روح المقاومة وعلى الاستسلام والتسليم بما يراه العدو كقضاء محتوم أوهى الإقناع بعدم جدوى المقاومة .

---

(١) التذكرة السعدية ٨٨ .

ولقد اثبتت الخبرة المكتسبة من الحروب القديمة والحديثة أن الحرب النفسية سلاح فعال فى المعركة فهى وسيلة مدعمة لباقى وسائل النضال تعمل على استغلال النجاح ودفع عجلة الحرب سريعاً نحو النصر وتوفر كثيراً من الخسائر فى الرجال والعتاد (١) .

وتسمى الحرب النفسية أحيانا بالحرب الدعائية أو حرب الأعصاب أو الحروب الباردة . وترجع خطورة هذا النوع من الحرب إلى أنها أكثر انسيابا بوسائلها فى تيار الحياة اليومية للناس فلا ينتبهون اليها انتباههم إلى سلاح الأعداء .

وللدعاية مستويان : فكرى ويستخدمه الدعاة ، ومستوى انفعالى ويستخدمه المهيجون . والفرق بين المهيج والداعية هو أن المهيج ينشر أفكاراً قليلة على جمهرة بأسرها . أما الداعية فهو ينشر الكثير من الأفكار عند عدد قليل من الناس . وتهدف الدعاية فى الحروب إلى :

١ — سلخ الدعاوى الرئيسية للخصم وتجريدها من سياقها اللفظى .

٢ — مهاجمة مواطن الضعف عن الخصم أيا كانت قيمتها .

٣ — عدم مهاجمة مواطن القوة عند الخصم مجابهة إن لم يتيسر تشويهها .

٤ — التنديد بالخصم والقضاء على اعتباره أو المهاجمة الشخصية ، ويتوقف نجاحها على مدى سلبية الخصم واستسلامه .

٥ — وضع دعاية الخصم والتناقض مع الواقع .

٦ — تسفية رأى الخصم وأفكاره .

٧ — العمل على هيمنة جو القوة .

فإذا كانت هذه عناصر حرب الدعاية النفسية مستخلصة من فكر رجال

---

(١) علم النفس العسكرى ١٦ .

علم النفس الحربى فى العصر الحديث فلنا وقفة متأنية على مكانة تلك العناصر فى حرب شعراء الجاهلية النفسية ومدى سيطرتها على الروح المعنوية للمحاربين . وكيف كانوا يحسنون توجيه وسائل الإعلام الدعائية آنذاك حتى أثرت فى نفوس القوم وحققت مآربها بالانتصار أو الهزيمة تبعا لتوجيهها وقوة فاعليتها .

وقد قسم علماء النفس الدعاية الحربية إلى ثلاثة أقسام :—

الدعاية الاستراتيجية .

والدعاية التكتيكية .

ثم الدعاية التعزيزية .

فالأولى تتميز ببعد مرماها فى الوقت فهى لا تستهدف كالدعاية التكتيكية هدفاً قريباً محدداً مباشراً يتصل بالمعركة وإنما يتلخص عملها فى التمهيد . بينما يتلخص عمل الدعاية التكتيكية فى التسديد . والتعزيزية فى التأييد . فالدعاية التكتيكية تسدد ضرباتها إلى العدو فى المعركة تماماً كما تعمل المدفعية أو الدبابات فهى سلاح يتعاون مع سائر الأسلحة الأخرى ضمن جبهة القتال(١) وتلك كانت عند عرب العصر الجاهلى كما يتضح من شعرهم .

لقد ألبس شعراء العصر الجاهلى شعر الدعاية للحرب أردية التهديد والوعيد بالمصير المنتظر للأعداء . واستخدموا ذلك فى محيط القبيلة الواحدة أو محيط القبائل المتعددة حتى يصل النبأ التهديدى إلى من يناصر من القبائل المجاورة أو يحالف فى شكل معسكر هجومى بلغة عصرنا الحاضر . وكان الشاعر يجمع مثالب القبيلة أو القبائل المتعددة ويفندها ويفتخر عليهم

---

(١) علم النفس العسكرى ١٥٦ .

بمواقف قبيلته حتى يرخص من نفوس الأعداء ويعلى من شأن قومه وبهذه الفكرة وهى كسر شوكة العدو عن طريق تحطيم روحه المعنوية كانت لهم الغلبة دوماً فى ساحات الحروب المتكررة .وهذاماعناه عبيدبن الأبرص(١) فى لوحته التى يبرز فيها عنصر الدعاية النفسية التهديدية حين قال :

يـاذا المخوفنا بقتل أبيـه إذلالا وحينـا
أزعمـت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينـا
إنـا إذا عض الثقاف برأس صعدتنا لوينـا
نحمى حقيقتنا وبعض القـوم يسقط بين بينا
نحن الألى فاجمـع جموعـك ثم وجههم الينا
واعلـم بان جيادنا آلين لا يقضين دينـا
ولقد أبحنـا مـا حميت ولا مبيح لمـا حمينا
لايبلغ البـانى ولـو رفـع الدعـائم مابنينا
كم من رئيس قـد قتلناه وضـيم قد أبينـا
ولرب سيد معشر ضخـم الدسيعة قدرمينـا
إنا لعمرك لا يضام صليفنا أبـداً لـدينـا

أما الأعشى الكبير فقد ضمن قصيدة له دعاية حربية تهديدية لمن أراد أن ينال قومه معلنا ان الغلبة ستكون لقومه فهم أهل دربة بالحروب وعلى من تسول له نفسه أن ينازلهم ان يراجع صفحات ماضيهم الحربية المجيدة فهى خير سجل يحفظ مآثر قبيلته . وعندها تتضح الأمور فلا حرب ولا دماء

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ١٠٤ .

ولينصرفوا مذمومين مدحورين يلحقهم عار الانسحاب من المعركة . وتلك غاية الدعاية .

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة ... أبا ثبيت أما تنفك تأتكل
ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ... ولست ضائرها ماأطت الإبل
لا أعرفنك إن جد النفير بنا ... وشبت الحرب بالطواف والحتملوا
تغرى بنا رهط مسعود واخوته ... عند اللقاء فترى ثم تعتزل
لا أعرفنك إن جدت عداوتنا ... والتمس النصر منكم عوض تحتمل
تلزم أرماح ذى الجدين سورتنا ... عند اللقاء فترديهم وتتزل
لاتقعدن وقد أكلتها حطباً ... تعوذ من شرها يوماً وتتهل
سائل بنى أسد عنا فقد علموا ... أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل
واسأل قشيراً وعبدالله كلهم ... واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل
إنا نقاتلهم حتى نقتلهم ... عند اللقاء وإن جاروا وإن جهلوا
لئن منيت بنا عن غب معركة ... لاتلفنا عن دماء القوم ننتقل
هل تنتهون ولا تنهى ذوى شطط ... كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل

وهذه هى الدعاية التكتيكية التى أبدع فيها الأعشى لتنتهى بالإنذار النفسى الموجه إلى الاعداء فى قوله « هل تنتهون » وهى غاية مايطلب .

ومن الدعاية الحربية والإعلان النفسى عن الاستعداد التام للقاء كل من يحاول غزو بنى عبد القيس ماصرح به شاعرهم سويد بن خذاق (٢) معلنا للنعمان بن المنذر وقومه أنهم رغم عدتهم القوية وعتادهم الحربى لن يستطيعوا تحطيم بنى عبد القيس لإنهم يتمتعون بروح معنوية وصلابة فى

---

(١) شرح المفضليات ٢ / ١٠٥٥ .

الدفاع تصعب على الغزاة فهيهات ان يغلبوا . وشلمت الدعاية عتابا وتهديداً مراً يدل على الصلابة .

لن تجمعوا ودى ومعتبتى ... أو يجمع السيفان فى تعمد
يأبى لنا أنا ذوو أنف ... ونصابنا فى محتد المجد
إن تغزبالخرقاء أسرتنا ... تلق الكتائب دوننا تردى
أحسبتنا لحماً على وضيم ... أم خلتنا فى البأس لانجدى

وله كذلك لوحه دعائية صغيرة ولكنهاتشتمل على خلاصة فكر الداعية الحربى الحاذق وبعيد النظر الذى يلزم خصمه بالتفكير فى العواقب والتدبير فى الأمور قبل الإقدام عليها . وتلك مراجعة نفسية تجعل الخصم فى حيرة من امره أيقدم أم يراجع موقفه من الذين يريد غزوهم والدخول معهم فى معركة شرسة . والشاعر يعلن له أن قد أعذر من أنذر . وذلك اسلوب الدعاية الإعلانية فى كل الحروب على مر العصور قبل وقوع الخسائر (١) .

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم ... والا تقيموا صاغرينا الرءوسا
أكل لئيم منكم ومفلهج ... يعد علينا غارة فخبوسا (٢)
فإن تبعثوا عينا تمنى لقاءنا ... تجد حول أبياتى الجموع جلوسا

ويتطلب أسلوب الدعاية النفسية فى الحرب ان يفتخر الناس بقوتهم حتى يرهبوا اعداءهم . ويستحضروا ماضيهم المجيد حتى يعلنوا انهم لايتحدثون من فراغ ويعلنون خططهم القادمة للدفاع والهجوم متى تطلب الأمر ذلك وكل هذا بأسلوب يملأه التهديد والوعيد والتعالى على الأعداء عدة وحسباً وقوة ومناعة هزيمة .

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٠٥٤ .
(٢) مفلهج : ليس بكريم ؛ الخبوس : الأخذ والظلم .

وهذا ما أدركه خراشة بن عمرو العبسى (١) حين عبر عن قومه من حيث انهم خير من يسوس القبائل . ومن يحافظ على مكونات القبيلة ولا يفرطون فى ذرة رمل من أرضها أو غصن من خضرتها وأنهم سادة متوارثون وقوة لاتغلب عندما يدعو الداعى إلى محاربتهم .

ولا قـوم إلا نحن خير سياسـة ... وخير بقيات بقـين و أ ـ لا
وأطـول فى دار الحفاظ إقامـة ... وأربط أحلاماً إذا البقـل أحهلا
وأكثر منا سيداً وابـن سيـد ... وأجدر منا أن يقول فيفعـلا
قـروم نمتنـا فى فروع طويلة ... بحيث امتنـاع المجـد أن يتنقـلا
حمـاة غداة الروع يأمن سربنا ... إذا دهم الورد الضعيف المذيللا
مصاليت ضرابون فى كبة الوغى ... إذا الصارخ المكروب عم وحللا

ويدلى الشاعر الجاهلى عوف بن عطية بن الخرع الربانى بدلوه فى بئر الدعاية الحربية المعلقة بالإنذار والوعيد للأعداء معلنا عن قوة قومه ومتعتهم وشدة بأسهم فى السلم والحرب فالويل لمن يعاديهم أو يطلب حربهم . فيقول بعد أن عود القبائل التى هزموها من قبل حتى ينزل فى نفوس الحالين الرهبة من لقائهم ويفكروا فى ترك معاداتهم وينفض القوم ولا حرب وذلك اسلوب دعائى نفسى تنبه اليه معظم رجال الحروب حفاظاً على قوتهم من أن تفقد جندياً واحداً ولو انتصروا . (٢)

إذا مـا اجتبينـا جبـا منهـل ... شبينا لحرب . بعلياء ، نارا
نـؤم البـلاد لحـب اللقـاء ... ولا نتقى طـائراً حيث طـارا
سنيحا ولا جـاريـا بـارحـاً ... على كل حال نـلاقى اليسارا

---

(١) شرح المفضليات ٣ / ١٣٥٣ .
(٢) المصدر السابق ٣ / ١٣٨٥ .

نقـود الجياد بـأرسانهـا يضعن ببطن الرشاء المهـارا
يشق الحـزابى سلافنـا كمـا شقق الماجرى الدبـارا

ولم يكن الشاعر فى العصر الجاهلى تفزعه قوة جيش عدوه مهما كان عددها ، فكان عليه أن يستعمل سلاحه اللسانى ويهيئ نفوس قومه لملاقاة العدو ويقلل من شأنه ويقللهم فى أعين قومه ولو كانوا كثرة كالرمال ، ويحط من أقدارهم ولو كانوا شامخين كالجبال ، فتلك عدته النفسية يستخدمها فى الدعاية للحرب والإعلان عن قومه وعدتهم . فهذا الأعشى يعلن فى ثباته نفس ورباطة جأش لكسرى وجنوده وما أدراك ما كسرى وجنوده آنذاك إنهم لن يطيعوه فى إعطاء رهائن من لدنهم حفاظا على عهد أو ميثاق بينهم وانهم فى نفس الوقت لن يتخاذلوا عن حربه وقومه مهما كبرت أعدادهم أو تضاعفت قواتهم . وانهم بعزائم نفوس العرب سيزلزلون الأرض من تحت كسرى وجنده (١)

من مبلغ كسرى إذا مـاجـاءه عنى مـآلك فخمشات شـردا
آليـت لانعطيـه مـن أبنائنـا رهنـا فيفسدهـم كمن قد أفسدا
حـتى يفيـدك من نبيه رهينـة نعش ويرهنـك السماك الفرقدا
لنقاتلنكم عـلى مـاخيلـت ولنجعلن لمـن بغـى وتمـردا
مـا بين عـانة والفرات كأنمـا حش الفواة بهـا حريقاً موقدا
فـاقعد عليك التاج معتصماً بـه لاتطلبن سوامنـا فتعبـدا
فلعمر جدك لو رأيت مقامنـا لرأيت منـا منظراً ومؤيـدا

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢٣٥ .

فى عـــارض من وائـــل إن تلقـه يـــوم الهياج يكن مصيرك نكـدا
وترى الجياد الجرد حول بيوتنـا موقوفة وترى الوشيج مسنـدا (١)

وربما استخدم الشاعر اسلوب الدعاية النفسية للحرب بعد حوض المعركة . واحراز النصر لقومه . وتكون هذه الدعاية تثبيتا للنصر تهديداً ووعيداً لمن يحاول بعد ذلك حربهم . وتلك غاية نفسية سعى اليها ممجداً فعل قومه الفارس الشاعر عنترة العبسى . حتى تحدث علانية أمام جميع لقبائل كما نال قومه من الأعداء علانية . فلا بد أن يخلد ذلك ويزيد عليه بإعلان حتى تكون مكانتهم مرموقة ويعرف الجميع عنهم أنهم أبناء حرب وأصحاب انتصارات دوماً .

ألا أبلغ بنى العشـــراء عـــنى علانية فقـــد ذهـــب الســـرار
قتلـــت سراتكـم وخـلت منكم خـــيـــلا مثلمـــا خســـل الـــوبار
ولم نقتلكم ســـــراً ولكـــــن علانية وقـــد سطع الغبـــار (٢)

ويعلن جابر بن حنى بن حارثة التغلبى عن قومه فى دعاية نفسية هادئة بقصيدة طويلة يرد على من أساء اليه وحقر من شأن قومه ، فقال (٣)

نعـــاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهـــم بمحـــرم
وكائـن أزرنا الموت من ذى تحية إذا ما ازدرانا أو أسف لمأثم
وقـــد زعمت بهراء أن رماحنا رمـــاح نصارى لا تخوض إلى الدم
فيوم الكلاب قد أزالت رماحنـــا شر حبيل إذ آلى اليـــه مقســـم

---

(١) الوشيج : شجر الرماح .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٤١٠ .
(٣) شرح المفضليات ٢ / ٧٧٨ .

لينتزعن أرماحنا فأزاله أبو حنش عن سرج شقاء صلدم
تناوله بالرمح ثم اتى له فخر صريعاً لليدين وللفم
وكان معادينا تهر كلابه مخافة جيش ذى دهاء عرمرم
يرى الناس منا جلد أسود سالخ وفروة ضرغام من الأسد ضيغم

وربما يقف الإنسان وقفة تأمل وانبهار بحسن وصف هذا الشاعر لقومه وقوتهم وكيف أنهم يرهبون الأعداء فى البعد ويحطمونهم فى القرب ، فهم فى فزع دائم من قوة القوم وهلع لا يوصف من غضبهم .

ولعل الشاعر قد ضمن البيتين الأخرين العديد من الصور التى قصد اليها أول الأمر باتخاذ أسلوب دعايته النفسية التكتيكية للحرب بالصوت المخيف المرعب الذى تصوره الكلاب بعد فزعها وقومها من الغزاة الأقوياء ، والصورة التى اشتملت على سواد الجلد نتيجة الحروب الطاحنة الكثيرة الدائرة وكأنهم حيات تسعى تدافع وتهاجم أو أسود ضاربة تفتك وتطحن وهو تعبير نفسى يخدم دعاية الحرب .

وكأنى بهذا الشاعر يريد قول عنترة العبسى فى وصف الفارس الشجاع الذى يقدم فى الوغى غير هياب ، ويرهب الأعداء بهذا الوصف فى دعايته النفسية حيث كان عنترة يعنى نفسه كنموذج للأبطال المحاربين ونمط من أنماط الشخصية التى لا تقهر (١) :

شعت المفارق منهج سربالـه لم يدهن حولا ولم يترجل

---

(١) ديوان عنترة ٢٥٦ .

لايكتس إلا الحديد إذا اكتسى وكذاك كل مغاور مستبسل
قد طال مالبس الحديد فإنما صدأ الحديد بجلده لم يصقل

وهناك دعاية نفسية تهكمية يسعى اليها رجال الحرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة فى العصر الحديث بالرسوم التعبيرية أو النكتة الهادفة ، وقد أدرك شعراء العصر الجاهلى مالفعل هذه الوسيلة من تحطيم فى معنويات الأعداء ورفع روح القتال عند قوم الشاعر . فهذا سلمة بن الخرشب الأنمارى يسخر من الأعداء ويطلب منهم أن يصطحبوا معهم حبالا عند قتالهم حتى لايجهدوا قوم الشاعر فى أسرهم وانما بعدتم يقيدون وباقدامهم لحربهم يهزمون . ويعلن صراحة أن قومة قوة لاتقهر عدة وعدداً وتاريخهم الحربى خير شاهد على ذلك (١) .

إذا ماغدوتم عامدين لأرضينا بنى عامر فاستظهروا بالمرائر(٢)
فإن بنى ذبيان حيث عهدتم بجزع البتيل بين باد وحاضر
يسدون أبواب القباب بضمر إلى عنن مستوثقات الأواصر
وأمسوا حلالا مايفرق بينهم على كل ماء بين نيد وساجر (٣)

ومن أساليب الدعاية والإعلان النفسى لملاقاة الناس فى الحروب أن لايتساهل الإنسان فى حقه ولو صغر . فمن أقدم على صغار الامور ربما تسول له نفسه أن يقدم على كبارها . وهذا هو الشاعر جندل بن عمر الجاهلى كان أبناء عمومته قد ضربوا له مولى يدعى حوشب . فرأى أن

---

(١) شرح المفضليات ١ / ٧٤ .
(٢) المرائر : الحبال .
(٣) نيد وساجر : موضعان .

تشب نار الحرب بينهما ولكن أتخذ معهم الأسلوب الأمثل فى دعوتهم للاعتذار والايعودوا لمثلها . فإن بينهما صلة رحم . ولكن لاينبغى أن يقهر من ينتسب اليه وإن قل شأنه فى أعين الناس . فأعلنهم بذلك قائلا(١)

إن كنت لاأرمى وترمى كنانتى ... تصب جانحات النبل كشحى ومنكبى
أفيقوا بنى حزن وأهواؤنا معاً ... وأرحا منا موصولة لم تقضب
فإن تبعثوها تبعثوها ذميمة ... قبيحة ذكر الغب للمتغيب
سآخذ منكم آل حزن بحوشب ... وان كان مولى لى وكنتم بنى أبى

فهذه بطولة نفسية من الشاعر الا يتساهل فى حق إنسان أضير مهما كان بينه وبين من يهددهم ويتوعدهم من صلات قوية . فالحق أحق أن يتبع وما أبدع تلك الدعاية النفسية التى يعبر بها عنترة عن نفسه وقومه حتى عرفهم الناس جميعا وأصبحت سمة ظاهرة لهم وعدة نفسية لاتغلب(٢)

وقد علمت بنو عبس بأنى ... أهش إذا دعيت إلى الطعان
وأن الموت طوع يدى إذا ما ... وصلت بنانها بالهندوانى
ونعم فوارس الهيجاء قومى ... إذا علقوا الأعنة بالبنان

---

(١) التذكرة السعدية ٩٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٤٠٥ .